مأساة الفردية

●

من الاقوال الشائعة ان «حرية الفرد تحدها حرية الآخرين» .. وليس في اعتقادي اشد خطأ من هذا التعريف للحرية ، ولا اكثر ضرراً من شيوعه بين الناس، لانه يوطد روح الفردية التي سادت حياتنا العامة وامست اخطر العلل الاجتماعية التي يعانيها الشرق العربي

ان هذا التعريف الذي يحفظه كل من تمتع بقسط يسير من الثقافة ، ولا يفتأ يردده اقطاب الثقافة انفسهم ، ليصور المجتمع على انه مؤلف من افراد لا صلة بينهم ، لكل منهم « حريته » الخاصة التي يستقل بها عن « حريات » الآخرين وتتضارب معها .. وما احرانا بان نتحرر من هذا المفهوم الغابي للحرية لنقول ان حرية الفرد انما تكملها وتعززها حرية الآخرين .

ان امثال هذه « المبادىء » السائدة في حياتنا وعقليتنا قد جعلت منا امة فريدة في التاريخ ، فريدة بتفسخها وتفككها وانانية افرادها ، وانطواء كل منهم على ذاته ، وانصرافه الى اعراضه الشخصية ، وتكالبه على المنافع العاجلة بكل وسيلة ومن كل سبيل .. حتى غدونا اشبه ما نكون بوحوش في غابة ، يعيش كل منا في حذر مقيم وشك متصل وانتظار مستمر للفرصة المؤاتية ، فاذا ما سنحت سطا وفتك وافترس

فما عسى ان تكون الدولة التي تبنيها امة من هذا الطراز ؟ وما عسى ان يكون المجتمع الذي يتألف من مثل هؤلاء الافراد ؟ .. بل ما هي قيمة الحياة عندما تلتصق الحياة بالتراب ولا تعني سوى الفردية والانانية والاعتزال وانتهاب الفرص والاستهتار بالقيم والسير على جثث الآخرين كي يبني الانسان لنفسه منزلا جميلا على ضفة مستنقع آسن ؟ .. وهل تكون الحياة في مثل هذا المنزل جميلة ورغيدة حقاً ؟!.

ان مذاهب التشاؤم والقنوط ، والاعمال الاجرامية والفوضوية ، وحوادث الشجار والانتحار ، التي تكاثرت في بلادنا بشكل لم يسبق له مثيل ، ليست الا نتائج طبيعية لهذه الحياة الفردية التي نحياها دون ان نشعر باننا نعيش ونبدع ونتقدم ونعمل متضامنين مع اخوتنا في الوطن واخوتنا في الانسانية .

وما ذلك كله الا لاننا لم نعرف منذ البدء ان المرء لا يمكن ان يكون سعيداً الا في مجتمع سعيد ، وان حرية الآخرين شرط لحريتنا واساس لها ، وان الحياة هي شعور الانسان بانه جزء من كل يتأثر به ويؤثر فيه ، وان الواحد منا لا يستطيع ان يستقل بنفسه ويعمل لنفسه لانه في حد ذاته لا يساوي شيئاً ، ولكنه مع المجموع قوة كبيرة فعالة ، فينبغي لنا ان نكافح متضامنين في سبيل الحق والحرية والعدالة فاما ان ننتصر جميعاً او نفنى جميعاً .

لقد جعلت منا الفردية اناساً حالمين نعيش منعزلين في سماء الافكار والصور المجردة حيث يستنزف الفكر ذاته في فراغ عقيم .. وقد آن لنا ان نعلم ان الحياة تعاون خصب بين ابنائها لزيادة ثروتها وتعزيز جمالها .. ولسوف نعلم ذلك ونعمل به ان كنا من ابناء الحياة الطامحين !.

قدري قلعجي

القفاز

قصة

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

في ذات مرة قال لي الشاعر الذى كنت واياه على طرفي نقيض في جدال طويل ، قال لي فجأة : اسمع يا صديقي ، انا وانت اساتذة في الجدل ، فقل لي بربك كم مرة خضنا فيها نقاشاً حاداً تمسك واحدنا برأيه ودافع عنه دفاع الجبابرة ، ثم لما ترك مناقشه وخلا بنفسه وجد انه قد اعتنق الفكرة التي كان جاداً في دحضها ؟ سأختصر الطريق واعترف لك باني قانع بالرأي الذي تقول به والذي ادافعك عنه ، فماذا تقول انت ؟ فسكت لحظة اكتشفت اثناءها اني بالرغم من كل مـا قدمته من حجج لرأيي اشعر ان الصواب في رأي مجادلي اكثر منه في رأيي ، فابتسمت وقد آمنت بما قاله .

وفي هذه الليلة كنت في نقاش كذاك الذي دار بيني وبـين الشاعر . كان مجادلي يقول إن كل موجود في الوجود مستقل بذاته وان الرابطة بين الموجودات هي وهم في عقولنا نحن البشر ، ليس لها من اثر على الموجودات نفسها . اما انا فقد زعمت ان ما من كائنين في الوجود يعدمان رابطة ما بينهما ، واني قادر على ان اجـد بين الزبيبة وقيصر صلة ما ، صلة شبه او تناقض او علاقة ، وان اجد اثر هذه الصلة في كل من الزبيبة وقيصر باعتبارهما موجودين في الوجود . قلت له : هذا قفازي . ان الشتاء قد انقضى وقفـازي قد تمزق ، وسألقيه مع نفايات الثياب ، ولكني لو اعملت فكري لوجدت في هذا القفاز سبباً وثانياً وآخر ثالثاً كلها تربطني به ، وتجعله عزيزاً علي ، وتباعد بينه وبين النبذ والاطراح .

وافترقنا انا ومجادلي وكل مصر عن رأيه . وكان خليقاً بي بعد ان خلوت بنفسي ان اصاب بما اصبت به اثر نقاشي مع صاحبي الشاعر ، ولكن الذي حدث اني لم اقصر عن الانحياز لرأي مجادلي فحسب بل حدث ما هو اعجب من ذلك ، اذ اني آمنت برأيي ايماناً جازماً . . !

فقد تطلعت الى قفازي الممزق وهو في يدي فلاحت لي الخرق من جوانبه والخيوط الدخيلة عليه ونصول لونه ، فخيل الي ان في كل ثنية دب فيها البلى من ثنياته قصة تهيب بي ان قفازك هذا ليس متاعاً خلقاً بل صاحباً قديماً وعشيراً عنيفاً ، فما اعقك من انسان لو عملت بما تنويه ودست على الصحبة والعشيرة بقدم الجحود والنكران ! فرددت معطفي على صدري ودسست يدي في القفاز ورحت اذكر ما مضى .

الفكر

١

لو بسطت رأيي في الموجودات كما يؤمن به عقلي لضحك مني الناس . فالحياة المادية عندي ، وهي الحياة القائمة على قانون السببية ، ليست الا وجهاً من الحقيقة في الوجود . كيف نجزم اننا كأناسي نفوق الجماد بميزة ما ؟ اليس هو العقل الانساني الذي يدعي ذلك ؟ ولكن منذا الذي يستطيع اقناعنـا بان العقل الانساني ميزان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ اتراني حين اشتريت هذا القفاز قد ملكته ام هو الذي ملكني ، بل اقول اهو الذي اشتراني ام انا الذي اشتريتـه ؟ ان الحادثة التي جمعت بيني وبين القفاز الذي

حاولت اليوم نبذه تمت الى تفكيري بصلة قوية وتقنعني بان آرائي الشاذة اقرب الى الحقيقة المطلقة من كثير من ترهات الفلاسفة وسفسطات المناطقة فكيف تطاوعني كفي على طرحه وينكر علي عقلي قدره ومقامه بين عشرات الاشياء التي احوزها وتنالها يدي ؟!

بعد ان اضناني الطواف على متاجر المدينة عثرت بقفاز يرضيني: لونه اللون الكامد في غير اغراق، وطرازه البساطة الانيقة، ناعم الملمس ممشوق الاصابع . ما احلاه من لقية ! . . ولكن التاجر الارمني لم يرض في عتمة المساء، قبل ان يغلق متجره، ان ينزل عن الثمن الذي طلبه لهذا القفاز : اثنين وعشرين ليرة ! كيف ادفع ثمناً مثل هذا في متاع هو في بلدتي الصغيرة التي اعيش فيها حلية اكثر منه حاجة ؟ وتعنت التاجر فتعنت، واغلق دكانه على قفازه فانصرفت مغلقاً جيبي على دراهمي ورغبتي معلقة بالقفاز . واقلقتني تلك الرغبة ذلك الليل كأن في القفاز منية النفس، فاعتزمت شراءه في الصباح ولكني كنت اخاف ان تنطلق السيارة بي في الصباح قبل ان يفتح التاجر حانوته وكان ذلك، فقد أعقت السيارة عن الخروج في ميعادها دقائق كثيرة ولكن الارمني أبى الا ان يكون نؤوم الضحى فسرت الى بلدتي البعيدة وانا اعجب مما تركه هذا القفاز عندي من اسف ما اعتدت ان احمله لحاجة مضيعة .

يبتسم اصدقائي الخلص حين أخبرهم بان عندي من القوة النفسية ما يثبت ان هناك غير قوانين المادة مسيطر على الكون ولا ازال اذكر يوماً راهنت صديقة لي، في حفل، ان آتي باختها الجالسة في الصف الامامي الى صفي دون ان تبدو لها مني اية اشارة . فلم تؤمن ولكن اختها تلك تركت كرسيها بعد خمس دقائق وجاءت الينا اقد يكون السبب المادي الذي جاء بها انها تخلت عن مجلسها لسيدة اكبر منها سناً، ولكنها جاءت على كل حال، وجاءت بعد ان اردت مجيئها . ومثل هذه الحادثة كثير عندي وعند غيري ولكنها تمر على الناس فلا ينتبهون لها او انهم يلقون عليها سلسلة من التعليلات المعقدة خوفاً من الاقرار بقصور تفكيرهم عن ادراك كل ما في الوجود . اما انا فأني لم اضلل نفسي فاسربل ما جرى بيني وبين القفاز بشباك من التعليلات الموهمة والتقديرات المعقدة . ولم التعقيد والتضليل والامر واضح . لقد كانت السيارة التي ركبتها الى بلدي جديدة فارهة والسائق متمكناً من مقوده نشيطاً في جسمه ولكنها بعد ان بعدت بنا عن المدينة اخذت، تلك السيارة، تتلوى وتتشكى ثم تظلع حتى كاد السائق يؤمن انها مسحورة او عيناً اصابتها في هذا الصباح . ولم يلبث ان رفع يده عن المقود واستسلم للقوة التي حالت بيننا وبين المضي في سبيلنا ولحقتنا سيارة بديلة لم يرض صاحبها ان ينقلنا الى غايتنا بل عادت بنا الى حيث بدأنا .

وفي المدينة كان أول همي ان انزل الى حيث الارمني المتعنت. رأيته يجادل شارياً في امر قفازي الذي اذاقني اللوعة فمددت يدي اليه بما طلبه امس وانتزعت القفاز منه . وعدت فوجدت سيارتنا مهيأة للسفر، فسرنا كأنا لم يعقنا عائق او يردنا مرد غير هذا القفاز الذي احاول ان القيه مع خلق المتاع في هذا اليوم .

منذ ذلك الحين لم اقتصر في اعتقادي على ان لناموس السببية من يخرقه في عالم العاقلين والاحياء بل اصبحت أرى ان الجوامد نفسها تملك من القوة ما تجذب به انساناً، بل ملء سيارة من الاناسي عشرات من الاميال لتحقق رغبة صغيرة قائمة في صدر شاب . ومن الذي يقول ان ليس بين ثنيات القفاز ومغارس خيوطه مكان لمثل تلك الرغبة، تلك الرغبة الصغيرة ؟ !



الدكتور عبد السلام العجيلي

القلب

في كفي، وفي كل شتاء، كان هذا الكائن اللين الملمس الانيق المنظر المتزمت في لونه، قفازي يتنقل بين البلدان الكثيرة التي كانت تقودني اسفاري اليها، الى ان القي به وبي المطاف الى المدينة الكبيرة حيث كتب لي ان اقيم فيها ردحاً من الزمن لأؤدي مهمة مرموقة . لقد كان لي في هذه المدينة صداقات جمة، بعضها لشبابي وبعضها لادابي وبعضها للمهمة التي كنت اقوم بتأديتها ولكن واحدة منها لم تبلغ من الجمال والمتعة المغمورين في دنيا من البساطة الخلابة ما بلغته الصحبة التي نضحني بها قفازي.

كنت عهدت به، بالقفاز اعني، الى الفتى الذي كان يدير الحانوت العجيب بجواري حيث كانت تخاط القمصان وتكوى

الألبسة وتصلح الساعات وترسم المناظر الطبيعية ، ليخيط فتوقه ويصبغه اذا احتاج امره الى صبغة وفي ظهيرة اليوم التالي قرع جرس منزلي ففتحت الباب فاذا بقفازي تحمله ، كما يحمل المتبتل كتابه، يدان رشيقتان كساهما الشظف خشونة لم تأت على وداعتهما، كانت بالباب زوجة الفتى صاحب الحانوت العجيب وقد طالما لاح لي قوام هذه المرأة الممشوق في ظلام عقر حانوت زوجها فلم اميز منها غير امتشاق قدها وألق عينيها الذي كان يتنقل في الظلمة كأنه التماع عين قطة مرتاعة حذرة اما في هذه الظهيرة الحارة فقد امكنتني رؤيتها وتملي محاسنها في هدوء ودون رقيب كان جسمها في تفاصيله التي كان يشرحها ثوب بسيط جيد الحبك افتن مما كان يظهر لي في اجماله في ظلمة دكان زوجها . اما وجهها فقد كانت فيه شفة سفلى شبقة الاستدارة لذيذة الامتلاء توحي بشعور جارف محطم لولا ان نظرة صافية مبعثها عيناها الزرقاوان كانت تهدىء من حدته وتكسر من شرته . وأطلت النظر وانا اتأمل عينيها ، لقد كانت تتكلمان، وكأنما بدا لها اني لم افهم حديث عينيها فلم تلبث ان قالت بلسانها :

— تسمح ؟

ولعلها كانت تريد ان تقول لي : هل تسمح فتتناول قفازك ؟ اما انا فقد اردت ان افهم من كلمتها غير ذلك فتنحيت عن الباب بحركة داعية ، بل مستجدية تقول بالحاح ولهفة : تفضلي، ارجوك! فدخلت منزلي في تلك الظهيرة تلك الحسناء زوجة الفتى صاحب الحانوت العجيب

وكانت تلك ، كما قلت صحبة فريدة في جمالها المغمور في جو من البساطة الساحرة . كانت في باقة صداقاتي زهرة من البنفسج ، كلون عينيها ، في تواضعها ودعتها ونشرها الدافىء الساحر . كنت اسأل نفسي في عجب : من اين لصاحبة العينين الزرقاوين ، البسيطة البيئة الضيقة الافق هذه النفس الخصبة والروح الفياضة! وحين ازمعت عن المدينة رحيلاً لم تهتز نفسي للحن ينبعث من عاطفة حبيب بمثل ما اهتزت به لوداع جارتي ذات النظرة المتألقة صفاء والشفة المليئة اشتهاء . لقد اشاحت عني بوجهها وفي اجفانها سحابة دمع ، ولعلها كانت تتطلع الى القفاز متذكرة كيف كان هو السبيل الى تعارفنا ، وقالت :

— هكذا تذهب ؟ ليت ذلك الكف ما تمزق ، وليت يدي ما خاطت فتوقه .

المقيدة

ليت ذلك الكف ما تمزق !.. وهل تنفع ليت يا صاحبتي ؟ لو تدرين كيف تمزق قفازي واين تمزق . مثل المزق التي في جلده كانت المزق من اجساد اصحابي ومن قلبي على التل المشرف على عين زيتيم ، تلك المستعمرة ، بالقرب من صفد .

كان اليهود يحاولون الاستيلاء على ذلك التل جهدهم، فاذا تمركزت مفرزة من مجاهدينا على قمته عمدوا الى طردها لا بالالتحام بالنار، بل متدرعين بجرارة مصفحة اصبحت لهم كدبابة، وكان كل يوم يمر بنا يرفع من قيمة ذلك التل في اعيننا واعينهم . وعزم الملازم ، قائد قوتنا من المجاهدين، على ان لا يخليه بعد الآن فساق اليه في الصباح مفرزة بقيادة معاونه ، وكان صباحاً مشرقاً حين سارت المفرزة فاحتلت ذروة التل فكنا نرى شخوصها ونحن في القرية عن بعد ونكاد لفرط احساسنا بما يجري على التل نسمع العريف . يملأ الجو شتائم لليهود وازيز الرصاص الذي كانوا يجيبونه به على الشتائم . ولكن اشراق ذلك الصباح لم يلبث ان تبدل وامتلأ الفضاء بغيوم دكن تسوقها رياح باردة عاتية . ثم هطلت الامطار غزيرة حتى لقد غابت ذرة التل وراء ستار من المزن الهتون، مساكين اصحابنا الذين قصدوا الذروة وهم يأملون ان يقضوا نهاراً دفئاً بشمس الربيع ورصاص العدو ، لقد عادوا في المساء معجونة ثيابهم واجسادهم بماء المطر وطين التل الاحمر مسفوعة جلودهم بالرياح الصرصر، وكان ما لقوه من نهارهم بعض ما ستلقاه المفرزة التي ستخلفهم على التل في الليل . اخذ رجال هذه المفرزة البديلة يتهيأون كي يستلموا مراكزهم ، لبسوا عباءاتهم ، واستطاعوا بعد الجهد والمشقة ان يضعوا اقدامهم في احذية رجال المفرزة التي سبقتهم لان هذه الاحذية على بلاها وبللها كانت خيراً من صراميهم الحمر التي جاؤوا بها يقاتلون العدو اما قائد المفرزة ، وهو اخ الملازم قائدنا جميعاً ، فقد استعار معطف اخيه . وتلفت باحثاً عن قفاز يدس فيه كفيه في هذه الليلة الباردة . وكان القفاز ترفاً في هذا الجو الذي كانت الاحذية الصالحة فيه لقية لا تقوم بثمن، فمددت يدي بقفازي اليه وقلت له خذ قفازي لا كساء بل تعويذة ، فانه ان لم يحم يديك من القر فقد يحميها من الشر ! وشددت على يديه قبل ان يسير في مقدمة اصحابه مصعداً في الطريق الملتوية الى التل المشرف على عين زيتيم .

اية ليلة تلك التي مرت على اولئك الابطال في خنادقهم الموحلة بين عصف الريح وتهطال المطر وقرس الزمهرير ؟ كان بجانبي في الغرفة التي كنا نأوى اليها في القرية الملازم ه . ، اتراه نعم بغفوة

ذلك الليل ؟ لا احسبه فعل ، وكذلك لم افعل انا . كان اخوه هناك على الذروة يقود المفرزة ، اما انا فكانوا كلهم هناك اخواني : القائد ورجاله . وكان الليل الموحش يتمزق بين حين وحين باصوات ودمدمات بعضها للمطر والريح وبعضها للرعد والصواعق وبعضهـا منبعث من خطوط قتالنا او من اعماق نفوسنا . فكنا نضع ايدينا على قلوبنا متسائلين اهذه الاصوات لنا ام علينا ، من اردت ومن فاتت . ولما اصبح الصباح وارتسمت خطوط المرتفعات على الافق لاحت لنا شخوص المفرزة منحدرة من التل الينا . كنا نتلع اعناقنا ونحدد ابصارنا لنرى ونميز من عاد ممن تخلف وقليلاً قليلاً لاحت لاعيننا تحت رذاذ المطر عباءتان قد تناقل كل منهما اثنان من المجاهدين ، مجاهدان كانا ضحية الليـلة انفجر عليهما لغم زرعه اليهود فمزق جسديهما .

مجاهدان اثنان كانت لا تزال بهما بقية من رمق . كان احدهما يتململ ولا يعي اما الآخر فكان يتساءل عن اصابته اهي بليغة ؟ فاذا اجابه واحد منا مطمئناً كان يقول — وهو فلاح سقط رأسه في قرية ضائعة في شمال سوريا .

— معليش . فدى الوطن .

وماتا ، مات المجاهدان ، فدى الوطن . ودفنا جسديهما في تربة الوطن الذي ماتا فدى له . وطوينا انا واصحابي جوانحنا على قلوبنا الممزقة كجسدي الشهيدين في حين كان قائد المفرزة الليلية يضع في جيبي هذا القفاز ، بعد ان عركه المطر والريح ووحل التل ، ممزقاً .

***

حين بلغت بذكرياتي هذا المبلغ تطلعت الى قفازي الممزق في يدي فلاح لي على صورة لم أره عليها من قبل . كونه ولونه وفتوقه وخيوط الوفو فيه كانت تحدثني بمنزلة مـني في ذكريات الفكر والقلب والعقيدة . كيف كنت جامد العاطفة الى الدرجة التي نسيت فيها كل هذا الذي ذكرته الآن واعتزمت معها على نبذه واطراحه متاعاً خلقاً ؟! في هذه اللحظة استللت كفي من القفاز وطويته في عناية وحذر ووضعته في جيبي ، في هدوء ، مبجلاً مكرماً .

الرقة ـ سوريا

عبد السلام العجيلي

اللفظ الشاكي

مهداة الى اخي الاستاذ وديع فلسطين

لمحتُ بريقاً يسائل عـني ،	وهمس في اذن النفس سرا !!.
أنا !.. من انا ؟ ! يا تهاويل لحني ،	لقد حرت بالنفس لباً ، وفكرا !!.
وصلت !! ـ الى اين ؟! ـ فاذهب ودعني !	ـ ومن انت ؟! ـ القلب ، يا صاح ، ادرى !
ووحدي ، هناك ، صحوت لفني ،	فألفيت نفسي طليقاً ، وحرا !!.

***

طليق الجوانـح ، والاصغرين ،	طليق المشـاعر بدّلت طرا :
فثمتَ ، في القلب ، كاس تغني ،	وليل يدب ، يـنـاول خمرا !!
وأسربة — آه — تهرب مـني ،	والحـان سكر ، ترنح سكرا
فلا تشك ، يا لفظ ، طول التجني ،	سأنتقم ، اليوم ، بـالله صبرا !!

القاهرة

عدنان الذهبي

الرجل الكامل كما يراه اربعة من رجال الغرب

بقلم ابراهيم سكيك

مدرس اول للعلوم الاجتماعية واللغة الانجليزية

بمدرسة غزة الثانوية

●

لقد اختلفت نظرة النـــاس في مختلف الامم والعصور الى الرجل الكامل والصفات التي يجب ان يتحلى بها حتى يستحق هذا الوصف : فكانت اسبارطه مثلاً تطلب من ابنائها البسالة والجرأة وقوة الجسم بغض النظر عن الصفات الخلقية الاخرى ، بينما كانت اثينا ترى الكمال في الرجل الحكيم المفكر ، وكان للعرب مثل عليـا من الكرم والمروءة والشهامة والصبر ، ثم وضع الرسول نموذجاً للرجل الكامل وكان هو نفسه قدوة في الحكمة والصبر والخلق الطيب ، ولا نستطيع ان نخوض في هذه الابحاث التي تحتاج الى مقالات مسهبة وانا اريد ان انتقل الى اربعة من كبـــار الادباء الانكليز الذين عركوا الحياة وعجموا الدهر وامعنوا النظر في خصال البشر وطبـاعهم بحكمة وبصيرة ثاقبة ثم جادت قرائحهم بقصائد او رسائل وضعوا فيها الصفات التي تجعل من الانسان رجلاً كاملاً .

نبدأ الموضوع بقصيدة متينة للرجل السيـــاسي المحنك السير هنري وتن (١٥٦٨ — ١٦٣٩) الذي كان سفيراً لبــلاده في الامبراطورية الجرمانية ، وفيما يلي ترجمتها : ما اسعده في حيـــاته ونشأته ذلك الشخص الذي لا يخدم ارادة غيره والذي اتخـذ من الافكار الصالحة سلاحاً قوياً ، وجعل مهـــارته في قول الحق ، لا تسيطر عليه عواطفه يومـاً من الايام ، ويهيىء نفسه للموت في كل آن ، لا تشغله بالعالم مشاغل دنيوية يطلب من ورائها الصيت الواسع والهتاف الشعبي ، ولا يحسد احداً ممن رفعه الحظ السعيد او الصفات الدنيئة ، ولا يعرف ان الثناء لا يرفع من قدر المرء بقدر ما يجرح من كرامته . هو لا يعرف مبادىء السياسة المعوجة ، بل مبادىء الصلاح والتقوى ، لا تعرف الاشاعات الى نفسه سبيلاً .

وتراه يرجع في كل اموره الى وحي ضميره النقي .

ليست له من الاملاك ما يجذب نحوه المتملقين او يطمع فيه الطغاة المستبدين هو يعبدالله ويتضرع اليه بكرة واصيلاً ، شكراً لما وهبه من نعم لا طمعاً في رزق جديد .

وتراه يقطع يومه الذي لا يؤذي فيه احداً بمطالعة كتـــاب احسن اختياره او مصاحبة صديق وفي .

ان مثل هذا الرجل محرر من كل قيد عبودي اذ لا مطمع له ليعلو ولا يخشى على نفسه السقوط ، فهو سيد نفسه وان لم يكن سيد بلاده ، ويملك كل شيء وان كان لا شيء عنده .

***

ثم أنتقل الى شاعر البلاط « كبلنغ » (١٨٦٥ — ١٩٣٦) في قصيدة شهيرة ترجمت الى اكثر اللغات الحية لان كل بيت فيهـا يحوي معاني كثيرة وهي بعنوان « اذا » وهذه ترجمتها :

اذا استطعت ان تحتفظ برأسك في وقت ترى فيه من حوالك يفقدون رؤوسهم ويوجهون اليك اللوم .

واذا استطعت ان تثق بنفسك عندما يشك الناس فيك وفي الوقت نفسه توجد لهم مجالا للشك فيك بان تكون غامضاً لا تنكشف كل اسرارك لهم ، واذا تمكنت من الانتظار دون ان يتطرق لك الملل .

واذا كذب عليك ولم تكذب على احد .

واذا ابغضك احد ولم تشاطره البغضاء .

وفي الوقت ذاته لاتظهر من الصلاح والورع ما يزيد عن الحد .

اذا قدرت ان تحلم دون ان تجعل الاحلام مسيطرة عليك .

واذا قدرت ان تفكر دون ان تجعل هذا التفكير هدفك الاخير .

واذا كان في مقدورك مقابلة النصر والنكبة بروح واحدة .

واذا تحملت ان ترى كلامك الحق يشوهه الانذال وان ترى الاشياء التي كرست نفسك وحياتك في انجازها تنهار ثم شمرت عن ساعد الجد لتعيد بناءها وتشيد صرحها بعزم وحزم .

اذا قدرت ان تجعل من كل ما كسبته موضع مغامرة بين الربح والخسارة ، وعند الخسارة تعيد من جديد دون ان تنبس ببنت شفة .

اذا تمكنت من السيطرة على قلبك وعضلاتك واعصابك لتجعلها نشيطة في تنفيذ مآربك حتى بعد ان تبلغ من الكبر عتياً ولا يبقى فيك من القوى سوى العزيمة والارادة التي تأمر بالثبات .

اذا قدرت ان تخاطب الجمهور وتختلط به دون ان تفقد كرامتك وفضائلك وتساير الملوك دون ان تفقد الاتصال بالشعب .

اذا لم يقدر صديق او عدو على ايذائك .

اذا كنت تقدر الناس حق قدرهم دون ان يعلو مقام احدهم في نفسك الى درجة المهابة والسطوة

واذ تمكنت من اشغال كل دقيقة من وقتك بما يستغرق ستين ثانية حينذاك تملك الارض وما عليها ، بل اكثر من ذلك ستصبح رجلاً يا بني .

***

وهذه رسالة من ايرل تشسترفليد (١٦٩٤ — ١٧٧٣) الى ولده ، وكان قد بلغ اسمى الرتب حتى عين نائباً للملك في ارلندة وكان خطيباً مفوهاً وشخصية بارزة من رجالات عصره . وفي كتابه لابنه يقول :

بني العزيز ! انا لا اتأسف على الوقت الذي قضيته في المسرات فهي لهو الشباب تمتعت بها في اوانها ، ولو لم اتمتع بها لكنت الآن اتحسر عليها ظناً بانها نعمة كبرى حرمت منها . اما وقد اختبرتها فاني اقول لك ان الناس يبالغون في وصفها . كما اني لا اتحسر على الوقت الذي قضيته في العمل والسعي للمراكز العالية وذلك للسبب نفسه ، لان المظهر الخارجي لهذه المراكز يغرو طلاب العظمة فيسعون لها بكل ما فيهم من قوة ظناً بأن في ثناياها سحر خلاب ، ولا يزول انخداعهم بها الا اذا اشغلوها ، وهذا ما حصل معي فاني ما زلت اداب وراء الملذات والمراكز واختبرت كل ما يبهر الانسان لاول وهلة ثم خرجت من كل ذلك راضياً قانعاً دون حسرة او ندم .

اما الوقت الذي لا زلت اتحسر على ضياعه فهو الذي قضيته في خمول لم انجز فيه شيئاً . هذا شر ما يكون عند الشاب فكن حذراً وحريصاً من هذه الناحية فالقيمة الحقيقية للسويعات التي تمر تظهر عندما ترى ما يمكن انجازه فيها من عمل ، وخسارة تلك السويعات فادحة جداً اذا ضاعت هباء . فكل دقيقة يمكن استغلالها وانجاز عمل فيها يكون من ورائه اضعاف السرور الذي نراه في الكسل .

لا تظن ان كلامي هذا يعني استخدام كل الوقت في الدراسات العميقة ، لا ، فان اللهو في الاوقات المناسبة ضروري ومفيد ، لانه يهيئك لان تكون ابن الدنيا اي رجلاً عصرياً ، وهو يعرفك بالشخصيات المختلفة ويعرفك طبيعتها الحقيقية ، ولذا فليكن هدفك منه محصوراً في هذه المآرب حتى لا تضيع فائدتها عليك . واني لاعرف اشخاصاً كثيرين اختبروا اللذات ووصلوا المراكز لكنهم لم يتمتعوا بتلك اللذات ولم يملأوا تلك المراكز وما فتئوا يظنون انفسهم من ابناء الدنيا لانهم خالطوا رجال اللهو وانهم من ارباب المراكز وهم لم ينفذوا عملاً يذكر . فاذا قمت بعمل ما فقم به على اكمل وجه وليكن هدفك اتقان العمل نفسه فالعمل الذي يتم نصفه والعلم الذي نتقن نصفه لا يستحق الذكر ، بل ان عدم القيام بعمل او معرفة شيء خير من ذلك لان المعرفة الناقصة تقود الى الضلال والعمل غير التام يؤدي الى الاخلال .

واعلم يا بني انه ما من مكان او مجلس تحضره الا وتكتسب فيه معرفة شيء جديد اذا اردت ذلك ، فكل انسان من العالم يعرف شيئاً لا يعرفه غيره فباجتماع الناس تنتشر المعلومات . اطلب تجد ، واسع تنجح في هذا العالم وفي العالم الثاني ايضاً » .

هذه رسالة تعرف منها من صفات الكمال معرفة استغلال الوقت . والمقال الرابع الذي اقدمه للقارىء الآن كتبه الكردنال المفكر « نيومان » ١٨٠١ — ١٨٩٠ قال : « يمكن ان نعرف الرجل الكامل بانه الشخص الذي لا يوقع اذى او يصيب احداً بضرر وهو ينهمك في ازالة العقبات التي تعترض من حوله من اعمالهم الحرة ويتعاون معهم في حركاتهم دون ان يتزعم او ان يجعل نفسه العامل الاساسي .

جان دارك

بقلم برنارد شو

« اخذت هذه القطعة من الحوار الذي دار اثناء محاكمة جان دارك »

رئيس الاساقف : أنكِ تقضين وحيدة، تماماً وحيدة ، واثقة بغرورك وجهلك وعنادك والحادك باخفاء عيوبك تحت ستار الثقة بالله. لما تخرجين من هذه الابواب الى الفضاء ستهتف لك الجماهير وسيأتونك بأطفالهم الصغار ومرضاهم لتشفيهم ، سيقبلون يديك ورجليك وسيعمل هؤلاء المساكين ما يستطيعون ليملأوك غرورا ويحدون بك الى الجنون بالثقة العمياء التي ستقودك الى الخراب ولكنك ستكونين رغم ذلك كله وحيدة ولا يستطيع احد منهم انقاذك . ولكن نحن، ونحن فقط نستطيع الوقوف بينك وبين المحرقة ، تلك المحرقة التي احرق عليها اعداؤنا تلك المرأة التعسة في باريس .

جان وعيناها الى السماء : لدي اصدقاء احسن وافضل مشورة من اصحابك .

رئيس الاساقف : مرة اخرى ، ارى اني اتكلم عبثاً الى قلب صلب متحجر، فقد رفضت حمايتنا لك ، وانت مصممة لتحولينا ضدك ، ولكن دافعي عن نفسك الآن فـاذا اخفقت فليرحم الله روحك .

دنوا : هذه هي الحقيقة يا جوان ، فانتبهي اليها جيدا .

جان : اين ستكونون اذا انتبهت الى هذا النوع من الحقيقة ؟ فلا مساعدة ولا مشورة لاي واحد منكم . نعم، اني وحيدة على الارض وكنت دائمًا وحيدة فقد قال والدي لاخوتي ليغرقوني في النهر اذا لم ابق لاعني بغنمه وفي ذلك الوقت كان وطني – فرنسا – نازع الى الموت، فلتهلك فرنسا ما دامت اغنامنا سالمة .

لقد ظننت ان لفرنسا اصحاباً في بلاط الملك ولكني لم اجد الا ذئاباً جائعة تتصارع من اجل قطع من جسمها الممزق . ظننت ان لله ندماء في كل مكان لانه صديق لكل واحد منا، وبحسن نيتي ظننت انكم ستكونون مثل الابراج القوية لتدفعوا الاذى عني انتم الذين الآن تلقون بي خارجاً . ولكنني الآن احكم مني قبل ولا يضير الانسان ان يكون أعقل واحكم ، فلا تظنوا انكم تستطيعون تخويفي بأخباري اني وحيدة . فرنسا وحيدة والخالق وحيد فما هي وحدتي ازاء وحدة وطني ووحدة الباري؟ اني ارى الآن ان وحدة الله في قوته، فماذا سيكون اذا اصغى الى مشورتكم الحقيرة التي مبعثها الغيرة والحسد، حسنا، فوحدتي ستكون قوتي ايضاً . فخير لي ان اكون وحيدة مع الله، فصداقته لن تخذلني ولا مشورته او حبه . وبقوته سأتجرأ وأتجرأ حتى اموت سأذهب الآن الى الناس العوام واجعل الحب الذي في عيونهم يريحني من البغضاء التي في عيونكم . ستكونون فرحين حين تروني احترق . ولكنني حين اذهب خلال النار سأذهب الى قلوبهم واقتحم الى الابد .

وهكذا فليكن الله معي !

بغداد — غازي سالم صالح

وهو يعرف كيف يعامل كلاً منهم فتراه رفيقاً مع الخجول ، لطيفاً مع البعيد ، رحيماً بالسخيف ، وهو يحرص على الا يجرح شعور احد بتعليمات مؤذية او مواضيع مثيرة ، كما انه لا يختص نفسه بالحديث في اي مجلس حتى لا يكون مملا او مزعجاً لمن حوله .

هو لا يهتم كثيراً لصنع المعروف وان كان يكثر منه، ويعطي الغير بينما يظهر لهم انه يأخذ منهم ولا يتحدث عن نفسه الا اضطراراً ، ولا يدافع عن نفسه بمجرد الكلام ، يصم اذنيه عن سماع الغيبة والهجاء ، يجد لاخيه عذراً في تصرفاته .

وفي مجادلاته لا يتعرض لخصمه بسوء او يتفوه بكلام بذيء، وهو يعامل عدوه كما لو انه سيكون صديقه يوماً ما . يعرض نفسه للاهانات لما عنده من ذوق ادبي، ولا يتذكر الاذى لكثرة اشغاله فلا يحمل الحقد لاحد . ويمتاز بالصبر وقوة الاحتمال لانه يبني سلوكه على قواعد منطقية ، فيذعن للالم لانه لا مناص منه وللحرمان الذي لا بد منه وللموت لانه المصير النهائي .

غزة — ابراهيم سكيك

الآلهة الزجاج

من ايام الرعب

بقلم يوسف الشاروني

ماذا عساه يصنع بكل هذا الضجيج المفاجيء ؟ بهذه الافران الحامية كأنها قطعة من الجحيم وأمامها جباه غارقة في العرق! هذا الحريق الملعون، رأى فيه كتل الزجاج المنصهرة تلتقطها هذه الحشرات الآدمية المنتثرة في صمت بالمكان، ثم يخلقون منها أكواباً والواحاً ومرايا ، والمصابيح البترولية يستضيء بها من لم يصلهم بعد نور القرن العشرين ممن يعيشون في الاكواخ وفي مغاور المدينة الرطبة وفي الازقة التي لعنتها السماء .

ومدير المصنع — الذي كان يسير في احترام واجلال وراءه بخطوة او أقل على اطراف قدميه — مال عليه وهمس بضعة كلمات في اذنه اليسرى . فسار حتي وقف امام احد الافران وجه ضخم اسمر ، ذو ذقن ذات شعر خشن قصير ، تخللها العرق وجعل يقطر من اسفلها ما بين حين وحين . اذن فهذا هو ابرهيم أمهر العمال واخطرهم كذلك . كان يحمل على طرف ملقاطه الطويل المجوف كتلة من الزجاج المنصهر اخرجها من النار ووضعها على البلاط المعد لذلك حتى لا يبرد المصهور فجأة . وكان الآن على وشك ان ينفخ في ملقاطه كي يصنع التجويف الذي يريده داخل الكتلة المنصهرة قبل وضعه في القالب، حين لمح رأفت بك فعرف فيه صاحب المصنع الجديد . وتفرس فيه فوجده ليس كالمرحوم أبيه . ان به شيئاً من . . . من . . . ربما من التخنث .

واراد ابرهيم ان يحييه ، فقال له : انظر يا سيدي . ورأى رأفت العجينة الزجاجية تتقلب في سرعة على البلاط ، ثم يمد اليها ابرهيم بضعة آلات دقيقة، وتدور العجينة وتدور ، ثم تقف ، ثم تدور وتدور ، حتى استطالت قليلاً ، فاذا هي في وضع افقي ثم في وضع رأسي ثم في وضع افقي من جديد . . . ووقف المدير جلال افندي فخوراً انه هو الذي يقوم بهذا العمل المجرد انه أسر الى البك عن مهارة ابرهيم ومن خلفه وقف الصراف والفراش فخورين كذلك . وبعد دقائق كان هناك في يد ابرهيم تمثال بلوري جميل لا يزيد ارتفاعه عن نصف ذراع وتذكر رأفت بك التماثيل الزجاجية التي تملأ البهو بقصره الصغير . وهذا ما ابدعه من تمثال وما اجمله من هدية يقدمها اليه هذا العامل ، حتى لقد خيل الى رأفت بك ان في التمثال بعض الملامح منه . ورآه يمسكه — رغم بقية من حرارته — من قاعدته الصغيرة بأطراف اصابع ثلاث من يده اليمنى ثم يرفعه في الهواء قائلا :

— تلك هي طبيعة الزجاج يا سيدى ، فطالما كانت الحرارة كامنة فيه ظل قابلًا للمرونة والتشكل ، فاذا فقدها تصلب من اجل ان يتماسك ، لكن هذه الصلابة هي نفسها التي تعرضه . . . انظر .

وضرب التمثال على ارض المكان بلا مراعاة ، فتحطم وانتثرت اجزاؤه ؛ وهو يبتسم معتقداً انه كما نال اعجابهم فمن حقه ان ينال دهشتهم ، ثم يتناول عجينة اخرى وهو يوضح الامر قائلًا :

قصة

وذلك هو يا سيدي المعنى الحقيقي لمهارتنا نحن العمال ، اننا نستطيع ان نخلق آلهة كهذه من الزجاج ثم نحطمها ، ثم نخلق غيرها ونحطمها .

لكن مدير المصنع والصراف

والفراش الذين حسبوا أن ابرهيم سيهدي التمثال لرأفت بك حدقوا دهشة واستنكاراً، وبدا الاشمئزاز على وجه البك من هذا العمل «الغليظ»، بينما كانت قطع الزجاج تبرق على سطح المكان كأنها حطام حضارة.

وغادر رأفت بك المكان الرئيسي بالمصنع واتجه نحو الباب الخارجي يسير على ارض الطريق التي فرشها له المدير جلال أفندي بالرمل هذا الصباح. فلمح في الغرفة الجانبية قرب الباب الخارجي احمد — الذي تبناه بندتش البوغوسلافي وأورثه سره قبل ان يموت — لا يزال منحنياً كما رآه ساعة دخوله يصقل مرايا المصابيح البترولية. فالاقراص الزجاجية تأتيه، فيمر عليها بمادته السحرية التي حملها معه بندتش من بلاده البعيدة والتي لا يعرف سرها الآن الا احمد، فلا يعود الزجاج مجرد مكدر بين العيون والمرئيات، بل يصبح مرآة صافية تستطيع ان ترى فيها نفسك، واذا وضعت في حامل بجانب المصباح عكس ضوءه فتضاعف. وهكذا كان احمد يرى نفسه في اليوم الواحد مئات المرات.

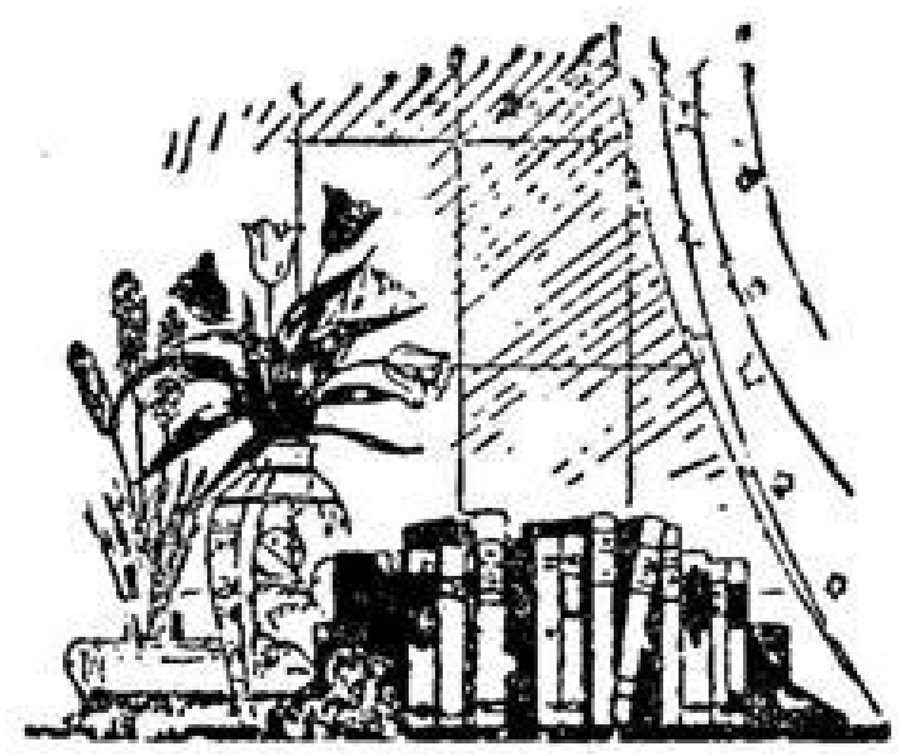
غير ان هناك «شربات» في الغرفة الجانبية المواجهة، حيث قطع الزجاج المتكسرة. غرفة تجمّع فيها حطام كل عملية خلق فاشلة لكوب او مصباح او مرآة، قطع مدببة لا نهاية لها من الزجاج الابيض والاسود والاحمر تفجؤك اينما اردت ان تضع لك قدماً، تُمسّها «شربات» بيديها في مهارة لا تدميها من اجل اعادة صهرها. وكانت شربات جميلة على ضعفها، في وجنتيها حمرة مريضة عذبة، حتى لقد اشتهاها البك ذات لحظة. وبين الغرفتين المتقابلتين يشيعون ان حباً ينمو.

وعندما كاد ان يهم بركوب سيارته لاحظ حركة غريبة وراءه، فالتفت فاذا ابرهيم مقبلاً نحوه وهو يلهث. قال له: لقد ترامى الينا يا سيدي البك انكم ستخفضون مرتباتنا بدعوى ان الحرب انتهت والاسعار قد بدأت تنخفض، ولكن هذا لا يمكن ان يكون صحيحاً يا سيدي. فالاسعار لم تنخفض بعد كما ان عائلاتنا في هذه الاثناء قد تزايدت. ووقف ينتظر جواباً. والواقع ان رأفت لم يكن قد فكر في الامر. فعندما اقبل هذا الصباح ليرى مصنعه بعد ما حثته امه على ذلك كثيراً وجد جلال افندي في انتظاره ووجهه يتهلل بشراً وفي غرفة الادارة الهادئة المنعزلة اقترح عليه ان يخفض اجور العمال ثلاثين في المائة، وافهمه ان هذا من شانه ان يزيد من ارباح المصنع، كما ان العمال ليسوا في حاجة الى كل هذه الاجور، فاقل العيش والملبس يكفيهم، وليس لديهم ما ينفقون فيه «وربما... ربما يصبح المصنع معرضاً للخسارة بل للاغلاق في هذه الايام ان لم تخفض الاجور... ولو كان ابوك حياً — رحمة الله عليه — لما اوصى بغير هذا التصرف». وكان جلال افندي يبتسم ابتسامة عريضة وهو يلقي باقتراحه الى صاحب مصنعه الشاب واثقاً انه سينال رضاه وسينال به ثقته. والآن عندما اقبل ابرهيم هكذا بلا استئذان، بدا الاستياء في عيني المدير حتى ضاقتا اكثر مما يجب، والتمع فجأة في ذاكرة رأفت بك بريق الزجاج المتناثر، فأجاب في حزم متصنع: بل ستخفض الاجور واذا لم يعجبك الامر فلتترك العمل. وانحنى العامل شاكراً وانصرف. والتفت اليه جلال افندي يقول: انهم كثيرو الثرثرة. ثم فتح له باب السيارة بنفسه في انحناءة مؤدبة، ودخلها رأفت بك، وجذب بابها في عنف وراءه ثم مضى يخترق الطرق.

وفي المساء كانت امه قد دعت الى حفل راقص. وفي البهو الكبير — حيث ابدع النقوش والمرايا البلورية العجيبة والتماثيل الزجاجية الدقيقة الصنع موضوعة بتنسيق فائق — بدأ القوم يفدُون واخذت الجثث المعطرة تتحرك وتتضاحك، والكلمات الفرنسية والنكات الاعجمية تُسمع في المكان. وقد وافت الساعة على السابعة ومع ذلك لم تقبل خيرية، وها هي امها مدام عمر بك قد اقبلت وحدها اذن فصحيح علاقتها الجديدة بوحيد... وكانت الاضواء المنعكسة على الاجساد البضة واللآلئ التي تزينها والتماثيل الزجاجية في المكان تبهر عينيه هذه الليلة كأنه يراها لاول مرة. واغمض عينيه لحظة ليستمتع بهذا الظلام المفاجئ، فسمع خليطاً غريباً من الاصوات والحركات كأنها امواج بحر غير منتظمة، ثم صوتاً رقيقاً يهمس باسمه. وفتح عينيه فوجد حورية تداعبه، اين اختها خيرية اذن؟ وقام، ورقص ثم شرب، ورقص ثم شرب، حتى ساعة متأخرة من الليل.

وانصرف المدعوون عندما جاءه الخادم يعلنه ان جلال افندي يطلبه بالتلفون. ماذا؟ العمال سيضربون عن العمل في الغد ان لم يكن

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير (كانون الثاني)

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريالا

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ – ٩٢ — المنزل : ٣٧ – ٤٨ } Tél. { Direct. : 92 - 47 — Dcle. : 48 - 37 }

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان

هناك قرار بالعدول عن تخفيض المرتبات. يا للابله ! اذن فليطردوا من زعمائهم واحداً او اثنين فينتهي كل شيء. «ولكن أحمد، آه... نعم، نعم اني أعرف، انه يحتفظ بسره فلا يمكن طرده». واحمد يحتفظ بشربات كذلك. لماذا يمتلك هذا العامل الاسمر النحيف هذين السرين منه ؟

عندما عاد من المصنع في الصباح وتحدث الى امه عابثاً قالت له : الكن صاحب المصنع يا ابني يجب ان لا يتدنى الى احدى العاملات التافهات، هكذا كان أبوك. غير انه كان يعرف من اخلاق ابيه اكثر مما كانت امه تريد ان تعرف عن زوجها. وكان يعرف ان امه تشير اليه ان يفضل عبثه بالجثث التي تفوح برائحة العطر.

وجلس في البهو وهو يحس دواراً شديداً. وخيل اليه ان الحفل لا يزال قائماً لكنه انتقل بمرئياته واصواته الى عالم غير مرئي ولا مسموع. ان هذا البهو لا يزال يموج بالاجساد والاصوات وخليط الخمر والعطر والدخان. وكاد حلقه ان يحترق، ولكنه اشعل سيجارة اخرى وسمع صفير القطار الذي يمر قريباً من قصره الصغير، ثم اهتزت ألواح المنزل الزجاجية ، وابتعد صوت العجلات.

هذا العام مات أبوه الذي خلق هذا المصنع وكان يعشقه، يعشق كل جزء منه ويعرفه معرفة أليفة، يعشق هذه الافران وهذا الحريق المتأجج ليلاً ونهاراً وكلما اضاف الى المصنع جديداً كان يأتي المنزل مزهواً. وعندما يتجمعون ذات لحظة ، وبمحض المصادفة، كان يقص عليهم اسماء الآلات الجديدة التي استحضرها ويخبرهم عن تاريخ المصنع الطويل وما ينوي ان يفعله في القفزة التالية. ثم الارباح، الارباح الجديدة التي سينالها والتي كان لا يفهم منها رأفت الا انها اعداد تزيد عن الآلاف... كان أبوه يرى ان للحياة هدفاً واحداً هو ان تنمي ثروتك بشتى الطرق، وكان رأفت يرى ان للحياة هدفاً واحداً هو ان تنفق ثروتك بشتى الطرق. كان أبوه يتمنى لو ان اليوم كان مكوناً من ثمان واربعين ساعة، وكان رأفت يجد ان الوقت لديه — مثل النقود — لا يكاد يعرف اين ولا كيف ينفقه.

كان ابوه يهتم بما يسميه رأفت « تفاهات الحياة وصغائرها » مدققاً مقتراً وبخيلاً. ومن هذين الجيلين ولدت حضارة ونمت واخذت تموت.

اما هو فما عساه ان يصنع بكل هذا الضجيج المفاجىء ؟ ولماذا لا يمضي في حياته اللاهية الخاصة كما كان يفعل قبل موت ابيه ، حيث تفوح رائحة الجثث التي تقطر بالعسل! وهؤلاء الحشرات لماذا يضربون عن العمل ؟ لا يريدون اجورهم ان تنقص ! فيم تراهم

يريدون المال ؟ واذا لم يعودوا الى العمل في الغد خسر الآلاف . وخيريه لم تأت هذا المساء ، وابوه قد مات وامه تنصحه .. ما هذا الملل الذي لا يطاق .. وسمع صوت عجلات قطار البضاعة الذي يمر في غير المواعيد (المحددة)تاريخ زجاج النوافذ ،ثم تضاءل الصوت في الظلام .واحس بالتعب والحاجة للنوم ، بل لفكرة الانتحار واحياناً مانحس حاجتنا لفكرة الفعل ، تماماً كما نحتاج للفعل نفسه احياناً اخرى .

.. وذات لحظة التمعت امامه في الظلمة قضبان السكة الحديدية ، واجتاحته رغبة جنونية ، حين سمع دوي قطار من بعيد ، خفت قليلاً ثم عاد يتضخم ويتضخم . فوقف لحظة يتيقن من أية جهة يأتي . واحسه يقترب بجنون في الظلمة ، وقد اتضح صوت العجلات وصفير القطار ، ثم عاد فاختلط جميعه في دوي هائل عربيد ، ولمح في الجنوب نيران الفحم يلفها سواد القاطرة المحمومة وهي تشد وراءها العربات المثقلة الصاخبة ، ورأى القاطرة تكبر وتكبر وعجلاتها تدور حول نفسها في اخلاص معتوه ، والدوي يملأ الظلمة بالوحشة والانقباض ثم لفح التراب وجهه وتناثر بعض الحصى على قدميه ، وانتشر الدخان في الظلام المرتفع حتى انتصر الدوي نهائياً على الصمت .

ومرت القاطرة امامه تشد وراءها عربات طويلة ، الواحدة اثر الاخرى ، وكانت العربات جميعها مظلمة كالليل ،صامتة لولا دوي عجلاتها التي كانت تدور جميعها معاً في انتظام صارم وبلا انقطاع . ووضحت رغبته الجبارة القاسية في الانتظام الى الابد مع هذه العجلات في دورانها الصارم المنتظم.

لكن اقل دهشة كانت كافية للقضاء على هذه الرغبة التي كانت قد بلورتها في نفسه فجأة سراديب خفية مسحورة ،وكان المطر قد بدأ يهطل في غزارة والبرق يلقي اضواءه الارجوانية على الغيوم ، حين رأى الناس متعلقين بأسطح العربات المظلمة الصامتة وبنوافذها في كثرة وازدحام وبلا حراك ، كأنما انهكهم الجهد والزحام فبقيت منهم جثثهم وهي لا تزال متكالبة على ما كانوا قد حصلوا عليه من اسطح العربات ونوافذها في هذه الرحلة الجنونية عبر الظلمة المترامية .

ثم اخذ صوت العجلات يهدأ ، والدرس يخفت ، ويفسح من جديد للصمت احضان الظلام . حتى وقف القطار ، وشاهد الكتل البشرية تستيقظ في الظلام ، وتفتح اعينها على مغاور الجبل الذي لم يره قبل الآن قريباً من قصره الى هذا الحد المنذر بالسوء ، واخذوا يغادرون القطار ويلجأون الى الكهوف ، يحملون اليها الذخائر والبارود وهم ينشدون .

وكانت تنتشر فوق الجبل ، مقابر الاجيال الماضية التي سحقتها المذلة وفرضت عليها اللعنة .وكان المطر قد انقطع لكن بقاياه الرطبة لا تزال ترحم الجو . واختلطت المقابر بالجماهير ، وكان يبدو عليهم انهم ممن ذاقوا مرارة الجوع والحرمان جيلاً بعد جيل ،ومنهم من ارتكب حماقة في حياته فظل مشدوداً اليها آلاف السنين ، ومنهم من طورد حتى تجردت احلامه من اوهامها الخضراء ولعابها السائل .

ورأى الجماهير تتحرك نحو قصره . ماذا يريد هؤلاء المردة منه؟ اتراها احلامهم تململت فاستحالت الى ثورة ؟ وسمعهم يهتفون ملء حناجرهم « فلتسقط الآلهة الزجاج ، فلتسقط الآلهة الزجاج ! » واخذوا يتدافعون نحوه . وتنبه فجأة الى ان عينيه زجاجيتان ، فتلمس وجهه فاذا به يتحسس فيه تلك الصلابة الزجاجية الخطرة. اتراهم سيقذفونه بالحجارة فيتهشم ، وتهرق بقاياه على سطح الارض ؟

كان هذا شيئاً مخيفاً للغاية ، واجسامهم القذرة ، وسواعدهم القوية ، وحناجرهم المرتفعة ، والعرق الذي ينضح بلا انقطاع من جباههم ، ثم جسده .. جسده الزجاجي ! ولم يكن من المستطاع ان يتحمل اكثر من ذلك ففتح عينيه .

ورأى نفسه في البهو حيث اخذت تغادره البقايا الاخيرة من خليط العطر والدخان ، وكانت التماثيل الزجاجية الدقيقة لا تزال موضوعة في اماكنها على الرفوف بجوار الحوائط تحملق نحوه !

الخرطوم — يوسف الشاروني

النجوم

حار طرفي والنجم يعرض سربه حين قضيت ليلة السهد عذبه
أعيون تغازل الارض حتى هب غمز النجوم في اللمح هبه
كان نهر الوجود حباً فبات النجم ظمآن في الليالي لشربه
يا احبايَ ما لحبيَ ماضٍ كل امر يحول الا المحبه
سقط الوصل من حساب حبيبي فهواه في البعد يقنع قلبه
قال جذب النجوم حب ولكن دون وصل، وكان في الوصل نكبه
دنّس العاشقون كل غرام جعلوه لشهوة الجسم رغبه
أنا أهوى من لو شكوت اليه لقضى من تكتمي فيه نحبه
كم جريح مضى ولم يدر راميه ولو يستطيع كاتم ربه

***

أين برجي دوّخت طرفي عليه في صحاري النجوم ضيعت دربه
ان روحي مثل الشهاب فروحي عندما تبصرين في الليل شهبه
أعيون الدجى تطلين حيرى مثل من اودعوه في دار غربه
مشعل جنب مشعل، أصحاب ليس في صفها الذي خان صحبه
أم على الليل ديدبان دؤوب عسس الليل فهو يرصد نهبه
طالعات لوامع اللمح، قولي أو لم تسأمي طلوعاً وغيبه
أتراكن ملجأ لنفوس الارض ان فارقت جسوماً وتربه
يا حبيبي الذي نأيت وعفّت قبرك الريح، والفنا كان سببه
انت كالنجم خالد تتلالا في فضاء الزمان تملك رحبه
أتراني ألقاك بعد فنائي ويعود الهوى وترجع كتبه

دمشق

زكي المحاسني

آلام

الى الشاعر البير أديب

قلبٌ يفيض كآبةً وعناء ويكاد يلتهم الوجود شقاء
إني لأنعم بالهموم أعلها حلماً، واخلها منىً وعزاء
وأحبّ آلامي، فكل جوانحي شوق، تفجّر فرحة وهناء
عودتها بذل الدماء رخيصة وعشقت في شطئانها الانواء
ونسيت ايامي، ولست بنادم حسبي وحسبك، ان اذوب عياء
وانا المتيم بالعذاب، اشمه عطراً، واسكبه هوىً وغناء
تحدو له الركبان في بيدائها طرباً، فيرقص لحنها البيداء
وتساءلت عنه السفوح، وكلها شغف، يسيل صبابة حمراء
من راح ينشد في الهضاب لحونه فترفّ ازهار الهضاب رواء
من ذلك المجروح، شق فؤاده واسال من اضلاعه الارزاء
هجر الحياة، فما يلذ لقلبه غير الحنين، يمزق الاحشاء
هو شاعر يا سفح، ضل طريقه وتنكبت خطواته الاضواء
عبد السراب، وهام في لمعانه وتعشقت أحلامه الصحراء
قد كان يحلم بالصباح، فلم يجد اثراً يلوح، فعانق الظلماء
يا ايها الالم العميق، وفي دمي حزن، يكاد يزلزل الاجواء
خذني، فما انا بالذليل يمسه باغ، فيطرق راسه استخذاء
خذني اليك، فأنت أكرم صاحب صان الشريف، وحارب اللؤماء
اني اجلك، ان اموت وفي ثي ظمأ، يذيب الصخرة الصماء
أأموت من ظمأ، وانت جداول ضحكت، فأضحك ماؤها الغبراء؟
وتثاءبت بعد الركود، فصدرها زهر، فديت الزهر والانداء!

***

انا ان حببتك، فالحياة مريرة ولرب عمر، ضاعف البأساء
اللهو، اين اللهو..؟ اين عشية خاصرت بين ظلالها النعماء..؟
وحديث غانية، وزهو صبية هدهدتها، فتهللت اغراء؟
واذا سألت عن الخدود، فلونها دمي الزكي، تدفقاً وسخاء
ولكم شممت الورد، احسب نفحه دنيا، تفيض ملاحة وبهاء
حتى اذا امتلأت يداي بعطره لم الق الا حية رقطاء

***

يا ايها الالم العميق، ولم اكن في العمر، الا لوعة خرساء
انا ان مللت من الحياة، ولم اطق جور الزمان، تكرماً وحياء
فالليث يأنف ان يكون مصفدا والذئب يمرح، ضلة ورياء

السلمية - سوريا

انور الجندي

قصة نابليون وماري فالوسكا

مترجمة بايجاز عن فريدريك ماسون

عضو الاكاديمية الفرنسية

في أول كانون الاول سنة ١٨٠٧ توقف الامبراطور نابليون، وهو في طريقه من بواستوك الى فرسوفيا، على باب مدينة برونيا . وهناك كانت الجماهير المحتشدة تنتظر محرر بولونيا العظيم. جماهير اخذها الحماس كل مأخذ، انطلقت الى اوج حماسها، وهتافها، حين لاحت العربة الامبراطورية.

وتوقفت العربة، وترجل منها الجنرال « ديروك »، واتجه الى دار البريد، وحين تجاوز عتبتها، بلغت مسامعه أصوات استغاثة ويأس. ورأى يدين تمتدان اليه باستعطاف لاهف. ثم سمع صوتاً بالفرنسية:

-- ايه .. ايها السيد الكريم .. انقذني من هذا المكان المزدحم . واعمل على ان ارى الامبراطور، ولو لهنيهة واحدة .

فتوقف الجنرال. ورأى امرأتين تبدو عليهما مظاهر الترف و كرم المحتد، تحاولان عبثاً التخلص من تلك الزحمة الموارة .

وكانت اولاهما تبدو -- (وهي التي وجهت اليه الخطاب) طفلة : وهي شقراء، ذات عينين زرقاوين واسعتين ممتلئتين طهراً ورقة، وكأنهما تلتمعان بغيبوبة مقدسة . اما بشرتها فخملية، وردية، واما وجنتاها فقد صبغهما الحياء بلون الجلنار .

وكانت صغيرة الجسم، ولكن على انسجام في التقاطيع وامتلاء في الاعضاء . وكأن السحر تجسد في صورتها الفتانة اللطيفة وكانت ترتدي ثياباً بسيطة وتعتمر بقبعة غامقة اللون، ذات برقع اسود شفاف .

رأى « ديروك ». وفهم كل شيء . فخلص المرأتين من الغوغاء . وقدم ذراعه للشقراء، وصحبها الى نافذة العربة، وقال:

-- يا صاحب الجلالة . اسمح لي ان اقدم لك المرأة التي تغلبت على اشد الصعوبات، لتراك .

فنزع نابليون قبعته . وانحنى صوب المرأة الغريبة . وراح يتحدث اليها اما هي فقد المت بها شبه نوبة من الالهام والحماس والنشوة فطفقت تهتف :

-- مرحباً .. مرحباً بك في بولونيا يا صاحب الجلالة. مرحباً بك الف مرة . نحن مهما فعلنا، فليس في وسعنا ان نعبر عن عواطفنا نحوك ايها المحرر العظيم . ان هذه الارض العريقة في المجد قد انتظرتك طويلاً لتنال حريتها واستقلالها .

وكان نابليون، في هذه الاثناء، يرقب الشابة؛ وهي تلهث بهذه الكلمات المحمومة، يرقبها باهتمام وتدقيق . وتناول اخيراً باقة من الازهار، كانت قربه، وقدمها الى المرأة الجميلة الشقراء قائلاً:

احتفظي بها دليلاً يؤكد اخلاصي وحسن نيتي . وآمل ان نلتقي في فرسوفيا، وهناك اطالب ثغرك الجميل بكلمة شكر .

وعاد « ديروك » واتخذ له مكاناً قرب الامبراطور. وابتعدت العربة بسرعة هائلة . ولكن قبعة الامبراطور ظلت تلوح من النافذة، ليودع بها صاحبها هذه الفاتنة الشقراء .

هذه الفاتنة الشقراء هي « ماري فالوسكا » اما اسمها القديم فهو « لازنسكا » وهي سليلة عائلة نبيلة عريقة، ولكن فقيرة.

ولكن فقر الاسرة لم يمنع ارملة السيد « لازنسكا » من ان تنظر الى مستقبل فتاتها بعين الواقع . فاستعانت بأحد اقربائها الاغنياء، وارسلت « ماري » الى مدرسة داخلية، لتنال قسطاً وافراً من الثقافة ييسر لها زواجاً موفقاً . وعند عودتها من المدرسة تقدم الى خطبتها اثنان لا بأس بكليهما .

وكان عليها ان تختار احدهما -- طبعاً -- . اما الاول فشاب ساحر الجمال، وافر الثراء، اعجبها للنظرة الاولى، لنبل محتده وجماله الاخاذ . ولكنه كان روسياً، وابناً لاحد القواد الروس الذين شددوا النكير على بولونيا، وطنها المعبود . ولذلك لم تقبله ماري وليخرس هذا القلب العاشق الملتاع .

عليها اذاً ان ترضى بالآخر .. وهو العجوز « آنستاس كولونا

دي فالوسكا » . وهو عميد اكبر عائلة في بولونيا واعرقها واغناها . فكيف لاتهيم الارملة « فالوسكا » بصهر كهذا ؟! ولم تحاول ماري ان تقاوم رغبة والدتها . بل قد حاولت فلم تجدها المحاولة . فاقتصرت على كلمتين قاسيتين من جانب والدتها. ونوبة اغماء من جانبها ، استفاقت ماري منها لترى نفسها تسير بخطى وئيدة الى عريسها العجوز .



ماري فالوسكا بريشة روبير لفيفر

ومرضت ماري في اوائل شهور زواجها . ولازمها المرض ما لازمها في لياليها الاولى هذا الشيخ الذي ينطبق عليه عنوان مسرحية شكسبير « كثير من الحركة . . ولا شيء » ومضت عليها سنوات وهي « تحيا » في قصر « والويس » المنعزل . وانصرفت اخيراً الى الدين والعبادة وراحت تعمق آمالها الالهية .

. . وحملت اخيراً . . ووضعت غلاماً .

فاستفاقت هذه المرأة الجميلة الشابة من آلامها . وكأنها ولدت من جديد . واحست بان عليها ان تسعد ليسعد ولدها . ولكن ايعيش هذا الولد على ارض مستعبدة .

انها تريد ان يكون ولدها بولونياً حراً ، ومواطناً رافع الرأس ، متاحة له الحياة العزيزة النبيلة . وهي بالتالي تريد الحرية والخلاص لموطنها بولونيا .

وهذا الذي حطم منذ قريب ، النمسا . وصارع روسيا في « اوسترلتز » . وهو الآن يجالد بروسيا . اجل . نابليون هذا ، هو الرسول المختار لتحطيم القوى الثلاث التي تقتسم بولونيا فيما بينها . ان العناية الالهية ارسلته ، وها هو ينطلق كالعاصفة ويطبع نهاية كل مرحلة من مراحل انطلاقه ، باسم من الاسماء الخالدة . ها هو يبدد الجيش البروسي كقطعة من الضباب . ويدخل الى برلين ، ويقترب من حدود المملكة القديمة . وها هي الحمى تمتلك الناس جميعاً ، حمى من الحماس والتأييد والاعجاب بهذا الفاتح الجبار .

وقصر « والويس » بعيد عن الاخبار . فيجب اذاً ان تسافر ماري الى فرسوفيا . وخاطبت زوجها في الامر . فحبذ فكرتها لانه هو ايضاً معجب بنابليون .

وسافرا الى فرسوفيا . ونزلا في احد فنادقها الفخمة الكبرى وراحا ينتظران .

وما ان اعلن قرب وصول الامبراطور حتى انقلبت فرسوفيا رأساً على عقب . وسيطر الحماس على الجماهير . فراحت تستعد للاحتفاء بالفاتح احتفاء منقطع النظير .

يجب ان يرضى نابليون . ففي رضاه خير كبير . وهو الذي سيقرر مصير بولونيا .

وارادت « ماري » ان تكون بين بنات امتها ، اول من يستقبله . وهكذا ، ودون ان تفكر في عواقب تصرفها ، اقنعت ابنة عم لها بذلك ، وتخطت ، في صحبتها كل العراقيل ، حتى بلغت مدينة « برونيا » .

وقد رأيناها تستقبل الامبراطور . ورأينا العربة الامبراطورية تغيب في الآفاق البولونية المخضوضرة . اما هذه المرأة الفتية ، فقد لبثت زمناً طويلاً تحدق في هذه الغيمة البعيدة التي تتلاشى ، في الافق وتحمل معها معبودها العظيم .

ودفعتها ابنة عمها في منكبها . وطلبت اليها ان تعي ، وتسير في طريق العودة . وافاقت ماري من حلمها الملكي السعيد . وخيالها الوطني السامي .

وطوت باقة الازهار في منديلها الحريري . وصعدت الى عربتها . وعادت الى الفندق .

وعزمت بينها وبين نفسها على كتمان امر هذه المقابلة ، وصممت على عدم السماح بتقديمها للامبراطور . ولكن رفيقتها وقريبتها وجدت في هذه الحادثة شيئاً من الفخر ، اعظم من ان يكتم ويضيع في مطاوي النسيان .

وبعد ايام ، زار الامير « جوزيف بوناتوسكي » ماري « فالوسكا » وطلب موعداً . وحين قابلها . دعاها الى حفلة رقص شاء ان يقيمها في قصره .

واحمر وجهها خجلاً . فقد فهمت . ولكنها اصرت على التجاهل . ووضع هو النقاط على الحروف . وروى لها كيف انه دعا نابليون الى حفلة عشاء . وكيف قص الامبراطور عليه خبر ملاحظته امرأة ساحرة الجمال ، وفصل له اوصافها وخطوط وجهها .

ورنة صوتها . ثم اضاف الأمير :

— ولا شك انك تعلمين من تكون هذه البولونية الحسناء. التي لفتت نظر الامبراطور فراح يتحدث عنها ويتطلع الى من يهديه اليها .

وحاصرها الامير حصاراً شديداً . فاعترفت . ودعاها الى حفلة راقصة فرفضت . فأصر بقوله :

— من يدري فقد تكون السماء قد هيأتك لتنقذي وطنك يا سيدتي الجميلة

فلم تستسلم ، فانسحب مغضباً . وما ان خرج حتى اعلن الخادم قدوم اوجه نواب بولونيا واشهر زعمائها . وكان الجميع يعلمون بأمرها مع نابليون فراحوا يطرونها بالوصايا ويتمنون عليها ان تخدم الوطن .

وكأن هذا لم يكن كافياً . فهذا هو زوجها يصل الى القصر وهو يجهل حديث مدينة برونيا والامبراطور — ولا يرى سبب هذا الحشد العظيم من الزعماء والنواب الا اعترافاً بفضله هو وعظمته السياسية .. ولذلك فقد راح يلح على زوجته بقبول الدعوة .. ويعنفها على الرفض والدلال .

ولم يكتف بالرجاء . بل اعطى امره اليها . فصدعت اخيراً . وسهر هذا الزوج الطيب على زينة زوجته اثناء استعدادها لهذه الحفلة الجميلة ، وراح يستنهض همة الخدم ، لكي لا تتأخر زوجته عن الموعد .

وأزفت الساعة العظيمة . ساعة اللقاء . ووصلت ماري الى قصر الامير . وتقدمت في الاروقة الانيقة محفوفة بنظرات الاعجاب وآهات النشوة . وأجلست في صدر صالة فخمة . وما ان استقر بها مجلسها حتى تقدم منها الامير « بوناتوسكي » وهمس في اذنها :

●

الكونت بوناتوسكي



— انتظرت بفروغ صبر ، واستقبل «احدهم» وصولك بحبور ، واستعاد اسمك مراراً حتى استقر في ذاكرته. والقى نظرة فاحصة طويلة على زوجك . وأعطيت امراً بدعوتك الى الرقص .

فأجابت — انا لا ارقص وليست لي رغبة في الرقص

فأجاب الامير بان الامر لا معدىً عنه . وان الامبراطور يرقب تنفيذه . ولا يقبل تأخيراً ولا تردداً وان معنى هذا فشل يصيبه هو ، وان نجاح الحفلة منوط « بماري فالوسكا » .



نابليون في حفلة تسليم الدستور الى دوقية فارسوفيا

●

ولكنها رفضت .

وحاول كثير من كبار الضباط الفرنسيين ان يحوموا حولها . فكان الامبراطور يصدر اوامره الى « ديروك » بابعادهم وارسالهم في مهمات خارج فرسوفيا .. فوراً .

وتوقفت الرقصات . وراح الامبراطور يتجول في صالونات القصر ناثراً جملاً يريدها ملأى بالمعاني وخفة الروح ، ولكن بدافع البلبال والقلق ، تقع في مواقعها السيئة الباردة .

وهكذا سأل فتاة عذراء عن عدد اطفالها . وسأل عجوزاً شمطاء عن مدى غيرة زوجها (وهي ارملة) .

وكان يتكلم دون اعمال روية او فكر . ودون ان يفهم مدلول الاسماء التي تقال له . فقد حصر فكره ونهاه في اسم واحد . ولم ترَ عيناه سوى هذه الشقراء الفاتنة القاسية .

ووصل اليها ، ودفعتها جارات لها باكواعهن لتنهض واقفة .

ووقفت . واسبلت عينيها . وارتعشت ، شاحبة ، شاردة النظرات . فقال بصوت مرتفع

— ابيض على ابيض .. لا يناسب جمالك يا سيدتي .

ثم اضاف هامساً :

— ليس هذا هو الاستقبال الذي املت .

ولم تجب هي .

وحدق فيها لحظة ومر .

وترك القصر بعد دقائق ، وانفصمت عرى الراقصين . وراح المدعوون يتحدثون ويسألون النساء منهم عن كلمات نابليون

واشاراته . اما السؤال الذي كان يتردد بشدة ولا يلقى جواباً فهو « ماذا قال لها . . هي . . » وماذا تكون هذه الجملة التي قالها بصوت مسموع ، وتلك الجملة الهامسة الخفيفة .

ودافعت ماري فالوسكا عن نفسها بصمتها . ولكن زوجها كرر سؤالاته عليها . وحين لاحظ صمتها الدائم صرح لها بانه قبل حين دعاهما الامبراطور الى مأدبة غداء موعدها اليوم التالي .

وطلب الزوج الى زوجته ان تعنى بزينتها عناية اشد من السابق . وخطر لها ، وألح عليها الخاطر ، ان تصرح لزوجها بمغامرة «برونيا» ، وكل الحركات والمناورات التي نجمت عنها .

ولكنها لم تجرؤ على ذلك .

***

وما ان وصلت الى مقرها ، حتى حملت اليها وصيفتها هذه البطاقة .

« لم أر في الحفلة غيرك . ولم اتمل من منظر غير منظرك — اريد « جواباً » سريعاً جداً . لاطمئن . ويهدأ فؤادي . انني اشتهيك .

الامضاء : ن . »

وطوت هذه الورقة بعصبية ، ومزقتها باستعاض . فقد اثارها هذا الاسلوب الصريح .

وتطلعت الى نافذتها . فرأت الامير بوناتوسكي ينتظر في الشارع جيئة وذهاباً .

فقالت « ماري » — ليس لدي ما اجيب به .

ومضت وصيفتها تطلع الامير على هذا الرد .

ولم يقبل الامير الهزيمة . فاتبع الوصيفة . ونفذ الى القصر . وبادرت « ماري فالوسكي » الى غرفتها . واقفلتها من الداخل . وصرحت ، من خلال الباب ، ان قرارها نهائي ثابت . وانها لن تجيب . وستنفذ مشيئتها كما امتنعت عن الرقص .

وراح الامير يرجوها ويستعطفها ، ويهددها . والتصق ، خلال نصف ساعة ، على الباب ، لا يبالي أكان وقوفه هناك سبباً في فضيحة مخزية ، ام اصبح اضحوكة الخدم والوصائف .

وحين نهضت ماري في الصباح ، قدمت لها وصيفتها بطاقة ثانية فلم تفتحها . فقد كانت تعلم ما تتضمن من التجديف والخيانة ، ولذلك امرت بان تعاد هذه البطاقة الى مرسلها .

والحقيقة ان هذا العبء كان ثقيلاً على كاهل الحسناء البولونية ومن اين لها الخلاص ؟ انها شابة فتية . وحيدة دون ناصح ولا نصير . وانها لتدافع عن نفسها دفاع الابطال . ولكن ماذا يسعها ان تفعل ضد الجميع ؟

وغص صالونها في الصباح بعلية القوم . هؤلاء هم شخصيات الوطن العظام ، واعضاء الحكومة ، والجنرال ديروك . ورفضت ان تستقبلهم . واتخذت من دونهم حجاباً في غرفتها ولم تشأ ان تخرج اليهم . وهناك تمددت على كرسي طويل ، ولكن زوجها غضب وراح يرغي ويزبد ، وهو الحكيم المحنك ، لا ينقصه نوع من انواع اللياقات ولكي يثبت للملأ انه ابعد الناس عن الغيرة ، ادخل الامير جوزيف ، وباقي الشخصيات البولونية ، الى حيث تتمدد على كرسيها .

واخذ يأمرها ، في حضور الشخصيات ، ان تقبل دعوة الامبراطور ، وهؤلاء يشاركونه ويؤازرونه في طلبه هذا المعقول . وقال لها اكبرهم سناً واجدرهم بالاحترام — وهو احد اعضاء الحكومة .

يجب ان تستسلمي يا سيدتي ، نظراً للظروف السامية التي تجعل منك بولونية ممتازة . فنأمل اذن ان يزايلك مرضك في موعد ذلك الغداء . . لا تستطيعين ان ترفضي هذه الدعوة الا بعد ان تدوسي كل ما يربطك بوطنك من الاواصر والصلات .

وهكذا حملت على النهوض . وارسلت ، بناء على طلب زوجها الاديب الذكي ، الى قصر عشيقة الامير جوزيف ، لتسهر على اناقتها وزينتها . وهذه العشيقة ستعمل على تسليمها للامبراطور .

اذن لقد تضافرت عليها الظروف لتتخلى عن طهارتها وعفافها .

وها هي تتلقى للمرة الثانية هذه البطاقة التي رفضتها في المرة الاولى

. . « هل انا بغيض اليك ايتها السيدة ؟ غير انه من حقي ان اؤمل العكس . فهل انا مخطىء ؟ ان لهفتك تباطأت اما شعوري

من مناظر فارسوفيا



فيزداد حرارة وعنفاً كل يوم، انك تحرمينني الراحة والرقاد. انا اهواك يا ماري اهواك اكثر من المجد، واكثر من ضوء عيني. فهبي قليلاً من السعادة والسرور لقلب مضنى مسهد، وهل يستحيل ان احظى منك بجواب؟ انك مدينة لي بجوابين!!

الامضاء «ن»

وكانت المرأة المخلصة تنتهي من قراءه هذه الرسالة حين دخل زوجها وراح يحدثها عن فتوحاته في المجتمع وعن تقدير الناس له. ولبث في جهله ينصح لامرأته بالحنكة والحذق.

ويرجوها ان لا تهدم ما بناه من المجد والشهرة حتى اصبح شخصية يجلها زعماء بولونيا ويقرها الامبراطور.. والح في نهاية خطابه، عليها، بتلبية الدعوة.



ماري فالوسكا عام ١٨١٢ بريشة جيرار

واحست الشابة المسكينة ان عليها تلبية الدعوة، فكل الناس يطلبون هذا اليها. وهذا زوجها (وقد تواضع الناس على ان الزوج هو حامي حمى المرأة) يدفعها دفعاً الى ذراعي الامبراطور.

***

وبلغت مكان الاحتفال. والتقت بالامبراطور.

وكان اكثر تهيؤاً اليوم منه في الامس. فوفق في صياغة العبارات الظريفة ينفح بها الحضور.. وخاصة النساء. وبعد جولة قصيرة بين المدعوين. وصل الى حيث كانت تجلس «ماري فالوسكا»: وقال: كنت اظن سيدتي مريضة. فهل شفيت تماماً.

هذه الجملة، على بساطتها وعاديتها المقصودة، لاحت لها محملة بالمعاني والاشارات.. ولا شك في ان نابليون خشي التصريح بافكاره. والناس يرقبون.. فقال ما قاله.. مشيراً الى اشياء، واشياء..

وحين جلسوا الى المائدة.. وضعت «ماري» في مواجهة الامبراطور، وما ان استقر به المقام، حتى راح يسأل احد المدعوين عن بعض التفاصيل في تاريخ بولونيا، بلهجة سريعة، متقطعة، اعتادها في حياته العسكرية.

ولاح عليه انه يصغي الى الاجوبة ويعيها وعياً عميقاً. فيسأل عن بعض النقاط، ويناقش ويعلق ولكن سواء تكلم ام اصغى، فان عينيه لم تكونا تتحولان عن مدام «فالوسكا».

ونظر الامبراطور، الى الماريشال «ديروك» نظرة ذات مغزى. فغمز هذا بعينه، والتفت الى «ماري» قائلاً.

ماذا فعلت سيدتي بباقة الازهار؟.. باقة ازهار «برونيا» فلم يذهلها هذا السؤال بل أجابت:

لا زلت احتفظ بباقة مولاي، لابني الصغير، كهدية احد الابطال الى احد المواطنين البولونيين.

فقال الامبراطور معمقاً مدلول الحديث:

آه... اسمحي لي يا سيدتي بأن أهدي اليك «زهرة» من النوع الذي يكاد يذويه الظمأ...

— انني لا أهتم يا مولاي... الا «بالازهار العادية»...

— اذن.. فسأقطف من ارض بلادك الجميلة، أغصان الغار، واهديها اليك.. وفهمت ما يعني.. فأجابت مسرورة:

— من دواعي فخري ان أتقبل هديتك يا مولاي.

ولا نستطيع ان نعطي القارىء فكرة عن حالة «ماري فالوسكا» النفسية عند نهاية المأدبة، وخرجت تتمشى في ارجاء الاروقة والصالات... والتقت بالامبراطور، فسلط عليها أشعة عينيه النفاذتين التي لم يستطع مقاومتها انسان فأمسك بيدها واخذ يضغطها بقوة وحرارة. ويقول لها هامساً: لا! لا! بعينيك هاتين الرحيمتين الجميلتين الرقيقتين، وبهذا التعبير الطيب المرتسم على شفاهك، وبهذا الجمال الالهي السامي، لا اظنك قادرة على ان تعذبي عاشقاً يؤرقه سعير الحب، والا كنت اشد النساء ظلماً وقسوة. وكان مظهرك الجميل خداعاً.

وانصرف عنها وتبعه المدعوون جميعاً. اما هي فقد قيدت الى

بيت السيدة «دي فوبان» حيث كان ينتظرها الامبراطور في جماعة من افراد حاشيته الخلص، وبعض رجال السياسة البولونيين: واحاط بها الجميع احاطة السوار بالمعصم. فبامكانها وحدها ان تحقق آمال بولونيا، وهي التي تستطيع ان تثير العطف في قلب نابليون على مصير بولونيا، فينقذها من الوهدة التي تردّت فيها.

ثم أبعد عنها جميع هؤلاء، وتركت وحيدة مع مدام «دي فوبان» وراحت هذه تحدثها باعجاب نابليون، وحبه، وقلبه، وعظمته. فانفجرت «ماري» بالبكاء سخرية وكمداً، وراحت تنتحب كالاطفال بصوت عالٍ.

وطفقت مدام «دي فوبان» تضرب على وتر «ماري» الحساس، الا وهو الناحية الوطنية. وها هي تحدثها عما ينتظره الوطن منهـا، وعن الخير الذي ستغدقه عليه اذا رضيت بان تكون عشيقة الامبراطور.

وفي هذه اللحظة اقبل احد الخدم بالرسالة الآتية:

«كثير من السمو يلاشي العزيمة ويحمل اليأس الى الفؤاد. وهذا ما احسه في هذه الايام. فكيف احقق رغبـات قلب عاشق لا يريد من الحياة غير الارتقاء على قدميك، فتصده اثقال المركز العظيم الذي اشغله والمهام العليا الملقاة على عاتقي!؟ فتشل احر رغباتي، واسمى عواطفي! وانك تستطيعين ان تزيلي كل هذه الصعوبات حين تقولين «نعم» فتلاشين هذه الحواجز الجبارة التي تفرق بيننا، وسيعينك صديقي «ديروك» على الوصول الى مكان اللقاء.

«تعالي! تعالي! وسأنفذ كل رغباتك. وسيصبح وطنك اعز لدي، واقرب الى قلبي، مما هو الآن اذا شملت قلبي بنظرة عطف.. واحدة»..

وهكذا ثبت لماري ان مستقبل وطنها هو الآن بين يديها. وها هو نفسه يقول هذا لا الآخرون وها هم الزعماء، والوجهاء، والاصدقاء، يبلورون هذه الفكرة في ذهنها. فما لا يغيرهـا معلقة نهضة الوطن.

فعليها ان ينتفي من ارض وطنها هذه القسمة الضيزى، وهذا التبدد الشامل. وعلى اعضاء هذا الوطن ان تلتئم. وعلى النسر الابيض ان يضرب بجناحيه الهواء من جديد.

ولكنها لا زالت تجالد وتقاوم، فكيف!؟ اتستسلم!؟ ان خفرها يثير في نفسها افظع الصور وارهب المخاوف!! واستشارت.. فقيل لها انها لا زالت قروية.. تتمسك باخلاق الريف.. وتقاليده البالية.

وبعد دموع كثيرة.. وجهود.. استسلمت.. وقالت لمن حولها: «افعلوا بي ما بدا لكم!» ولكنها اشترطت عدم الكتابة للامبراطور.. وتنتظر المساء.. في القصر.. ثم تذهب مع الدليل.. الى حيث نابليون.

ومرت الساعات متباطئة.. والشابة المسكينة تنظر الى العقرب وهو يتحرك بهدوء رهيب على الميناء.. ثم تتطلع الى ناحية الباب الصامت، ومنه سيُقبل من يصحبها الى مصيرها المحتوم.

ودق الباب في الساعة العاشرة والنصف. ودخل رجل طويل القامة. نحيل، يرتدي معطفاً اسود ويضع قبعة مستديرة.

ودعاها الرجل وتقدمها الى حيث العربة.. وسارت الجياد.

واثناء الطريق.. سيطر على الركاب الثلاثة الحوذي والرجل الغريب وماري فالوسكا صمت رهيب لم يقطعه احدهم بكلمة.

ووصلت، وادخلت الى بيت لم تراقب مظهره. لانشغال بالها وقلقها.. ولم تر الا ونابليون واقف قبالتها.. يحييها باسماً!!

وراح الامبراطور يتحدث اليها.. بلطف.. ومحبة. ولكن كلمة «ما هذا الزوج العجوز الذي اقترنت به» افلتت من بين شفتيه واحدثت أثراً عكسياً!! فانطلقت «ماري» الى الباب.. مصممة على الهرب.. منفجرة بالبكاء.

في هذه اللحظة ظهرت لها بشاعة عملها واضحة جلية افهي في سبيل جريمة فظيعة! فكيف يهدأ بالها؟ وكيف تسمح بها؟

وأخذ نابليون العجب. فما الذي يراه؟ وهي المرة الاولى التي تمتنع عليه فيها امرأة هذا الامتناع المدل. فهل هو دلع وصدود مفتعل ام جهل وسذاجة، ام حيلة، ام ماذا؟

وذهب الى الباب، حيث تشبثت، وامسك بيدها، وقادها بقوة يمازجها اللين، الى الاريكة حيث اجلسها واخضعها الى استنطاق شديد محرج. فهل اقترنت بزوجها مدفوعة بالحب؟ ام هل رُبط مصيرها بدافع المصلحة؟

فأجابت: ان الانسان لا يفرّق ما جمعه الله فانطلق ضاحكاً، وأجهشت هي في البكاء.

***

واكتفى نابليون في هذه الليلة بالتحدث اليها، وكان لطيفاً معها. وفي الساعة الثانية صباحاً ودعها قائلاً: لا تخافي «النسر» بعد اليوم فانه يبغي قلبك قبل كل شيء، ورجاها العودة في الليلة التالية، فهو لن يفتح الباب ما لم تقسم له بذلك. فوعدت بعد ان اطمأنت الى انه احترم ارادتها.

فلماذا لا يحترم هذه الارادة في الليلة التالية ايضاً، وتكررت المواعيد بينهما.

بعد المطبعة: هل تغير السينما من جديد وجه الانسان

بقلم صلاح دهني
ديبلوم الاخراج من معهد الدراسات السينمائية بباريس

كثير من الناس من يعتقد بان الالماني جو تنبرج هو الذي اخترع المطبعة في القرن الخامس عشر. ولكن الواقع يختلف عن ذلك بعض الشيء. فالمطبعة كانت موجودة حتى قبل ولادته بآجال بعيدة ولكنه ادخل على ادوات الطباعة ومجاميع الاحرف المتحركة تحسينات كبيرة بصورة بقيت معها حتى يومنا هذا، في المطابع العادية، بدون تغيير اساسي تقريباً. مما جعل الطباعة تنتشر انتشاراً هائلاً وتشكل ذلك التغيير الاساسي الذي نعرفه في مستوى الثقافة العالمي.

والذي يمر اليوم بمدينة ستراسبورج يرى ذلك التمثال البديع الذي خلفه لنا دافيد وهو يمثل جوتنبرج في اللحظة التي أخذ فيها بين يديه اول صحيفة وقد طبعت عليها هذه الكلمات الرمزية: « وهكذا ولد النور Et la lumière fut ».

لا اعرف أكانت تلك هي حقاً اول الكلمات التي طبعها جوتنبرج ام انها خرجت من ذهن ذلك الفنان الممتاز الذي هو دافيد آنجه (وهو غير لويس دافيد المشهور رسام الثورة ونابوليون) ولا اعرف ايضاً ان كان جوتنبرج قد شعر بصورة واعية حقاً بأهمية مطبعته وامكانياتها وكيف انها ستدفع البشرية الى طور جديد من حياتها يقسم تاريخها الى قسمين: ما قبل المطبعة وما بعدها. ولكن هنالك امراً محققاً هو ان الاخوين اوجست ولوي لوميير وهما اللذان مثلا بالنسبة الى السينما في سنة ١٨٩٥ في باريس نفس الدور الذي لعبه جوتنبرج في اختراع المطبعة لم يكونا يخمنان اهمية اختراعها: السينما، في تاريخ الانسانية.

واذا كان بعض الاذكياء من التجار قد فهموا اهمية السينما منذ ايامها الاولى كسلعة تجارية يمكن ان تفيدهم مالياً من امثال جورج مليبس ذلك الساحر المسحور الذي كان له دور كبير في تقدم السينما، فان الصحف والعلماء والكتاب لم يهتموا بالسينما الا كنادرة علمية قد تفيد علماء الفيزياء والتاريخ الطبيعي في تحليل الحركة وفي معرفة حركات الحصان او الكلب او العنزة لدى العدو وفي اي السيقان تقدم في ابتداء الحركة وأيها تحني وايها ترفع عن الارض وايها يسند الجسم الخ.. ولكنهم ابداً لم يفكروا في انها ستغير وجه الانسان والكون.

وكثيرون هم الذين تقدموا الى انتوان لوميير الاب يفاوضونه في شراء اختراع ابنيه ولكنه كان يرفض في كل مرة باباء وشمم بحجة ان ليس لهذا الاختراع من مستقبل وانه اذا كان الناس يقبلون على رؤية السينما في (الجران كافيه) قرب الاوبرا، فذلك كنادرة علمية ظريفة لن يلبثوا ان يعافوها ويملوها وترجع الى حيث خرجت، الى احضان المخابر العلمية، وهو بسبب هذا اشرف من ان يغرر ببعض المخدوعين في شراء آلة قد تسبب لهم الخراب والافلاس!

وليس الغريب هو ان الناس في اواخر القرن الماضي لم يقدروا السينما حق قدرها، ولكن الغريب هو ان نرى الكثيرين من بني عصرنا وحتى في اوربا بعد ما يزيد عن خمسين سنة على انتشار السينما، لا يقدرون اهميتها ولا امكانياتها ولا سلطانها على ملايين الناس الذين يؤمون قاعاتها في مشارق الارض ومغاربها. واظنهم معذورين لان السينما تفعل ببطء وهدوء. ولان اهميتها لتتجاوز الحد المعتاد للاهمية الذي يمكن ان تصل اليه الاختراعات التي تعودنا منذ القرن الماضي كثرتها وامكانياتها: كالباخرة والقطار والسيارة والكهرباء والراديو، والتي تعودنا ايضاً ان نقيس كل حدث جديد اليها.

لقد ولدت السينما كآلة ولكنها ما لبثت ان تطورت فأضحت آلة لا كالآلات بل عملاقاً لا كالعمالقة. ابتلعت تقريباً جميع ما خلفه الانسان وما اكتشفه من ادوات في الادب وفي العلم وفي الفن

وقدمته من جديد لأنسان اليوم على شكل شريط، ما عليه الا ان يزعج نفسه بالانتقال الى احدى قاعات السينما ليرى فيها ما لم يره انسان من قبل . ماذا خلف الانسان : المسرح ؟ السينما تقدم له ما يقدمه المسرح من تمثيليات ، القصة ؟ السينما تقدم له قصصاً ، التصوير ؟ السينما تقدم له صوراً ، الموسيقى ؟ السينما تقدم له موسيقى ، النحت ؟ حكايات الجن والشياطين والاسفار والغابات ؟ الادب الرفيع ؟ والوضيع ؟ كلها تقدمها السينما حتى الفلسفة تقدمها الفلسفة اليه على شكل صور او ستقدمها اليه في يوم من الايام عندما تصل الى ما ترنو اليه من تقدم في المجال الفني (تكنيك) ومن تقدم في السن في طريق الرشد .

تلك هي السينما . لقد حررت مؤلف المسرح من عبودية خشبة المسرح ودفعت بالممثل الى الحياة يقفز على الاساطيح وينزل في مياه البحر وتتبعه الكاميرا في كل مكان . واخرجت قصص الكاتب من دفتي الكتاب وشخصت الكلمات وجعلت منها مادة ترى واخترعت نوعاً جديداً من الموسيقى هي « موسيقى الصور » كما يقول المؤرخ الموسيقي فويللرموز لا تلك التي تصاحب الصور بل «الموسيقى التي تؤلفها تلك الصور ذاتها» . واوجدت نوعاً جديداً من النحت هو في ذلك الدور الذي يلعبه النور في (تشكيل) محتوى الصورة السينمائية تشكيلاً جديداً بصورة تتفق مع روح القصة وجوها . فهو تارة قاس مع ظلال قوية وتارة ناعم هادىء وهو يأخذ في الحالين شكلاً معيناً ويتطور ويتغير عن واقعه الملموس .

نعم تلك هي السينما ، جماع ميراث الماضي الثقافي واداته الحديثة الفريدة في التعبير والنشر ، اقول اداته الحديثة لان عصرنا الميكانيكي « عصر الجماهير » الذي تنبأ به جوستاف لوبون ، كان بحاجة الى اداة فنية حديثة موافقة لذهنية القرن العشرين ، تعبر عن فن القرن العشرين ، بلغته ، لا بلغة المسرح مثلاً التي مضى عليها خمسة وعشرون قرناً دون ان يصيبها تغيير ملموس ، اللهم الا اذا كان التأخر يمكن ان يدعى تغييراً في هذه الحالة (وليس لنا هنا ان نبحث ذلك) ، ولا بلغة الموسيقى وهي لغة العواطف والافكار المجردة بالدرجة الاولى في عصرنا المادي بالدرجة الاولى ، ولا بلغة الاحرف التي يستعملها الشاعر منذ اربعة آلاف سنة ، ولا بلغة الرسم التي حطم التصوير الفوتوغرافي منذ منتصف القرن الماضي جميع قواعدها المتعارفة القديمة وما توصلت اليه من تحسينات منذ قدماء المصريين . . . بل بلغة جديدة هي لغة الصورة الحية المتحركة الديناميكية .

وقصة التمثيل بالصور والرسوم ، حكاية طويلة قد ترجع الى القرون الوسطى والى لوحات اساتذة التصوير التي تمثل الحكايات المتناقلة من السيد المسيح وتلامذته ، والتاريخ الديني والحكايات الخيالية ، كما فعل كاراباتشيو وجيروم بوش وغيرهما ، وهي تمثل ادواراً مختلفة متسلسلة من قصة واحدة مرسومة على لوحة واحدة كبيرة او عدة لوحات . الا ان هذه القصة تبدأ حقاً في القسم الثاني من القرن الماضي عندما تكثر الصحف المصورة ، و«الحكايات بدون كلام» ويتحسن التصوير الفوتوغرافي فيسمح بتقديم ريبورتاجات مصورة الى القراء ، وتوزع نسخ من صور مشاهير العصر تعد بمئات الالوف . . .

«في فرنسا — كما يقول ماير وبيرسن في كتاب لهما ظهر في سنة ١٨٦٢ عن «تاريخ اكتشاف التصوير الفوتوغرافي» — اضحى التصوير الفوتوغرافي اليوم صناعة كبيرة . . . واكثر من (٤٠٠٠) عائلة تعيش من هذه الصناعة . . . واما في انجلترا وخاصة امريكا فان نمو الصناعة الفوتوغرافية اضحى هائلاً . ففي الولايات المتحدة ما يزيد عن (١٠٠٠٠ مصور . . .) هذا كله مع ان اختراع التصوير الفوتوغرافي لم يصل الى درجة معقولة من التقدم الا منذ حوالي سنة ١٨٥٠ وان هذا النجاح الذي لوقيت به الصور الفوتوغرافية الساكنة الجامدة ، ليجعلنا ننتظر نجاحاً اكبر للصور الفوتوغرافية المتحركة الحية . وهذا ما جرى فعلاً منذ الحفلات السينمائية الاولى وما يزال يتجدد الى اليوم .

وقد حاول مؤرخو المسرح والادب والتصوير والموسيقى . . . ان يقابلوا بينها جميعاً وبين السينما . فتتابع ظهور المقالات والدراسات حول «المسرح والسينما» مثلاً و«الرسم والسينما» و«الموسيقى والسينما» منذ اربعين سنة الى اليوم . واتفق الجميع على ان هناك تقارباً اكيداً ومجالاً للتشابه بين المسرح والسينما في الروي وبين الرسم والسينما في تمثيل الاشياء ، وبين الموسيقى والسينما في الحركة الامينة والتوقيع ، الخ .

ولكن جميع الكتاب والمؤلفين المخلصين لم يستطيعوا الا ان يعترفوا بمكانة السينما كالاداة الاولى للتعبير الفني في عصرنا الحاضر . وهذا طبعاً لا يصغر في شيء من شأن فن كالموسيقى مثلاً .

وحاول ايضاً اولئك الذين اعتادوا تصنيف الفنون في صنفين كبيرين فقط هما :

١ — فنون الاستقرار ، وهي تلك التي تترك آثاراً باقية : كالرسم والتصوير والنحت والعمار والفنون الصغيرة التي تنتج عنها كالنقش والصياغة والاثاث الخ . .

٢ — وفنون الحركة ، التي لا توجد الا في الزمن وبحركة الانسان : كالشعر والموسيقى والرقص والمسرح .

اقول بأنهم حاولوا ان يجدوا للفنون الجديدة مكاناً في احد

هذين الصنفين. فأمكنهم ادخال التصوير الفوتوغرافي في الصنف الاول والراديو في الثاني ولكنهم وقفوا حائرين امام السينما. فالسينما الناطقة هي في الدرجة الاولى فن حركة طبعاً مع جميع صفات فنون الحركة ومقوماتها كالتوقيع، وفهم المحتوي شيئاً فشيئاً بوساطة سلسلة من المؤثرات الامينة. وبقاء الانسان منفعلاً امامها وليس فاعلاً. الا ان للتحفة السينمائية فيما عدا هذا – وهنا المشكلة – كياناً مادياً يفتح للسينما باب الصنف الاول دون ان يبعده عن الثاني – هو الفيلم المادي الملموس الذي لا يسمح لناظر القسم الذي يحمل الصور منه ان يتمثل الحركة الرابضة فيه، ولا لناظر القسم الذي يحوي هامش الصوت ان يقرأ اي عنصر قابل لان يتحول الى صوت وحركة.

***

او يعني هذا كله ان السينما فن دون باقي الفنون لا تتوصل الى مستواها حتى نضعها معها على صعيد واحد؟ ام يعني بأن السينما ليست فناً في الاصل ولهذا لا يمكن ادخالها في التصنيف؟

اعتقد بأن جميع ما يمكن الاجابة به على مثل هذين الاتهامين تلخصه كلمة قالها في السينما سنة ١٩٢٠ لوي دللوك، اول من فهم فن السينما وامكانياته ودوره في الحاضر والمستقبل:

« اننا نحضر مولد فن عجيب، قد يكون الفن الوحيد الحديث، مع مكانته الفريدة منذ الآن، وانتصاره المدهش في يوم قريب»

نعم ان السينما فن عجيب، ولهذا لا يمكن تشبيهها بأي فن آخر. انها عملاق يبتلع جميع الفنون الاخرى بكل سهولة ودون ان يشعر بسوء هضم. ولهذا لا يمكن ادخالها في اي تصنيف من اي نوع كان إنها الفن الذي يلخص جميع الفنون ولكنها ايضاً اكثرها قابلية للعطب واسرعها للموت.

انها اشبه ما تكون (بالدايجست)، هذه التحف الصغيرة (وان كانت تحفها هي ليست دوماً صغيرة)، التي تلخص جميع التحف، نطلع فيها على اشياء كثيرة ما كنا نتمكن من الاطلاع عليها لولاها ولكننا ما نعتم ان نلقي بها الى غير رجعة في احد أركان مكتبتنا.

هكذا الفيلم، يلخص جميع الفنون بصورة بديعة رائعة (واتكلم هنا عن تحف السينما) ويزيد عليها فنه وعبقريته الخاصة، فنجد فيه لذة إلهية، قد ترفع انفسنا وتغنيها، وتهذب ذوقنا بنفس الدرجة التي كان اجدادنا يعجبون فيها بقصيدة بديعة او اغنية رفيعة او مبنى رائع البناء، واكثر من ذلك كله، لاسباب تابعة الى طريقة السينما في العرض. ولكننا مع الاسف، ما نلبث ان نلقي بهذه التحفة السينمائية في احد الاركان في مستودعات الاستديوهات وشركات السينما، هذا اذا لم نتلفها، بذا تقضي قوانين التجارة. بينما يتمكن الانسان في منتجات طرق التعبير الاخرى في الفن – كما لاحظ ذلك جورج ديهامل – ان يعود الى ما اعجبه وما ملك عليه عواطفه ونفسه، فيقرأ القصة من جديد متى أراد، او يستمع الى الموسيقى المحفوظة في قرص او ينظر الى اللوحة او صورة عنها الخ...

ولولا (متاحف السينما) التي تغذيها الحكومات لتحتفظ بنسخ من بعض الافلام الممتازة وتعرضها بين الحين والحين على العارفين والهواة والتي اخذت حركاتها تتوسع في البلاد الغربية، لما بقي الى اليوم اي فيلم من تلك التي انتجتها عبقرية رجال السينما منذ اختراعها.

هكذا الفيلم اليوم توضع فيه الجهود والعبقريات والاموال، فيولد وينزل الى الاسواق، ثم تقضي مدته فيعود من الاسواق... الى الموت. عاش عبداً لرأس المال الذي لولاه ما وجد ومات عبداً لقوانين التجارة. كيف على هذا نحكم بقلة شأنه ونحن لا نعرف بعد تماماً حدود امكانياته؟

هكذا الفيلم اليوم ومنذ خمسين سنة.

ولكن المستقبل؟

إن جميع الفنون الاخرى غير خاضعة

الى نفس درجة خضوع السينما المال ولقوانين التجارة (عدا المسرح) التي تكبلها وتحد من اندفاعها وتوقف تقدمها ثم ان السينما ابنة الامس وهل نطلب من المراهق حكمة الكهل او العجوز ؟ لقد قالها دللوك : اننا نحضر مولد فن عجيب.

لقد امضت السينما السنوات الخمس عشرة الاولى من عمرها في دور الطفولة ولم تصل الى وعي ذاتها بعض الشيء الا بين سنتي ١٩١٠ـ١٩٣٠ وهي ما تزال تبحث الى يومنا هذا عن طريقها انها فن شاب قد برهن حتى الآن عن مواهب وامكانيات هائلة اذ تقدم مركب الفنون الالفية وهو طفل ولهذا تبنى عليه الآمال الكبار لليوم والمستقبل.

وما أن أثره العميق في الفنون الاخرى من مسرح وقصة وموسيقى ورسم بدأ يظهر جلياً واضحاً يوماً بعد يوم. وفي هذا مجال لبحث وابحاث كثيرة قد نعود اليها ، ولكني لا اريد ان أنهي بحث اليوم قبل أن أشير الى تأثير أولي من نوع آخر على الانسان بالذات هذه المرة.

فمنتجات المطبعة – التي بدأت هذا البحث بالاشارة اليها – قد غيرت وجه الانسان عندما ساعدت على نشر الثقافة على مقياس واسع بصورة انتفع معها كل قارىء من الميراث الثقافي الذي انتجته وتنتجه عقول الآخرين، ولم يعد الكتاب ينسخ باليد نسخات محدودة العدد تتناقلها نخبة القوم، بل اصبح تقريباً في متناول كل انسان. وها هي منتجات السينما قد بدأت هي الاخرى تشكل تغييراً عميقاً في ثقافة الانسان ومفاهيمه ونظرته الى الكون ، يختلف عما فعلت المطبعة بالشكل لا بالمبدأ – وقد لا يتم هذا التغيير الا في اليوم الذي يعم فيه انتشار التلفزيون وهو لا بد قريب.

فالكولي (العامل) الهندي او الماليزي يرى كيف يعيش الناس في أمريكا الشمالية، وابن البلاد الاسكندينافية يعرف كيف يأكل السود في اواسط افريقيا أو كيف يصطاد أبناء غروينلندا الدببة – هذا اذا كان في غروينلندا دببة – وبعد ان كان العربي مضطراً لاخذ البحر او الجو الى امريكا ليكتشف مدنيتها ، اضحت امريكا تأتي الى خدمته ، وبعد أن كان الطفل لا يعرف العالم الا من خلال مدرسته أضحى يعرف الخليج والرأس والبحر وما في داخله والقطب وجودياته والجبل وما يكلله والسهل ومفروشاته احسن من كتاب الجغرافيا ، وتوسع افقه فأضحى يعرف أبناء العروق الاخرى وشيئاً عن لغاتهم وعاداتهم ومنعكساتهم ، ثم انه يعرف البقرة والجمل والاسد والنمر والخنزير والفيل احسن من كتاب الاشياء، ويعرف بعض الحقائق الصغيرة من بعض الحوادث التاريخية احسن من كتاب التاريخ (اللباس، كيفية الكلام العادات والحياة بمجموعها ...) – هذا كله مقدماً في كثير من الاحيان على شكل فيلم بصورة فنية تهذب الذوق وتصقله وترفع النفس وتغنيها. مما جعل الثقافة العامة لدى بني الانسان اليوم أوسع بما لا يقدر عنها لدى من سبقهم. وتولدت مشاعر كونية ، عالمية Cosmopolite اضحت معها فكرة صغر العالم ووحدة الناس واخوتهم ، فكرة واقعية ملموسة.

الا ان هذا النوع من الثقافة الهينة التي لا تحتاج الى جهد شخصي قد وجهت انظار بعض الانسانيين الى الخطر الكامن تحتها على الانسان وتفكيره وعمقه ، مما جعلهم يعلنون على السينما في شكلها الحاضر (وعلى الراديو والصحافة الرخيصة التي تمجد الغرائز المنحطة في الانسان) حرباً لا هوادة فيها. ولكن ادعاءاتهم وتخوفاتهم، تقابلها، فيما يخص السينما، هجمات لا تقل عنها حدة من قبل المتحمسين المؤمنين بهذا الفن الجديد، يجدون فيها هذه اللغة الجديدة في التعبير التي تضعها الآلة في متناول طبقات جديدة من الفنانين ، والتي توزع الفن والثقافة على مقياس واسع عالمي يصيب أصغر الناس وأفقرهم مالاً وثقافة، مما يجعلها الفن الشعبي الاول، ويتهمون الفنون الاخرى بأنها أضحت فنوناً بورجوازية لا تصيب سوى طبقة محدودة منعمة مميزة. لقد انتصرت فكرة الديموقراطية في كل شيء ، فلماذا يبقى الفن بورجوازياً ؟

نعم ان السينما فن شعبي بالدرجة الاولى توزع خيرات الارض والسماء على من يشاء، وتغني الفكر والروح لدى كل الناس بقدر سواء. ان في امكان كل انسان ان يحصل بعد اليوم على حد أصغر من الثقافة لم تكن الفنون الاخرى بقادرة على تأمينه له. وعلى الانسان نفسه ان يعرف كيف يتميز عن غيره وسعة وعمقاً اذا كان يطلب تميزاً.

السينما آلة لنقل الثقافة مكثفة. والثقافة البشرية تمر في طور من الغنى السريع الكثيف هو أشبه بالطور الذي تلا المطبعة، مع حفظ النسب.

ويقول الانسانيون : الانسان في طريق التوحد standardisation

ولكن التوحد – اذا كان هناك توحد حقاً – سيكون بسبب الانسان نفسه. ثم ان على رجال المستقبل ان يجدوا الدواء لمثل هذا الخطر – اذا كان هناك خطر – وهم لا بد واجدوه، كما يحاول انسان اليوم ان يجد دواء لعبودية الآلة التي اورثه اياها انسان القرن الماضي، وهو في سبيل ايجاد الدواء، اذ يحسن سير الآلة الآلية الذاتية (روبو) التي أوجدها هو.

ولهذا كله نتساءل : ألا يجب ان نميز بعد اليوم بين ثلاثة أدوار للانسان : انسان ما قبل المطبعة ، انسان المطبعة ، واخيراً انسان السينما Homo - cinematographicus ؟

باريس صلاح دهني

العاصفة الثلجية

لالكسندر بوشكين

ترجمها عن الانجليزية الآنسة سميرة عزام

لم تكن تنقص جفريل جفريلوفتش ميزة من ميزات الوجاهة فقد اجتمع له نبل المحتد، وضخامة الثروة، وحلاوة الخلق، ولذا كان قصره قبلة انظار شخصيات المجتمع وشبابه اللامع، فلهم على موائده الخير الوفير، ولهم معه ومع زوجه براسكوفيا اوقات ماتعة يقضونها في لعب الورق، كما انه كان لبعضهم من وراء ذلك كله غاية معينة هي استمالة – ماريا – ابنة جفريل وخطب ودها، اذ ان لها الى جانب ثراء والدها وفرط وجاهته، وجهاً ملائكياً رائعاً.

وماريا هذه فتاة خيالية عاشت مع الكتب والروايات اكثر مما عاشت في واقعها اذ لم تكن على شغف بما يحيطها من ألوان الترف.. ولذا لم تجد غضاضة في ان تحب جاويشاً بسيطاً فقير الحال، غير حاسبة حساب العواقب حين تورطت في حبه.

كانت لماريا وفلاديمير حديقة منعزلة يلتقيان فيها كلما غفلت عنهما العيون، حتى اذا ما اقبل الشتاء بعواصفه وزمهريره، وحرمهما نعمة اللقاء في الحديقة المعهودة، راحا ينظران الى حبهما نظرة اعمق جدية، فاتفق الاثنان على الزواج سراً.. غير مباليين بالنتائج المترتبة عن هذه المغامرة حتى اذا ما هدأت العاصفة التي ستهب حتماً في بيت جفريل ومسحت اصابع الزمن آثارها، اقبل الاثنان على والد الفتاة يستجديانه الصفح ويلتمسان المغفرة. وجفريل جفريلوفتش ليس ممن يحملون قلوباً من صوان فلدموع ماريا فعلها في اثارة حنانه وتحريك عاطفته ولها من مكانتها في قلبه خير شفيع.

***

ووعدت ماريا ان توافي فلاديمير مع وصيفة لها الى كنيسة قرية تبعد عن قصر الوالد ببضعة اميال، وما عليه هو الا ان يقنع القس باجراء المراسيم وان يهيء شهوداً للزواج من بين معارفه.

واقبل اليوم المشهود، فاستقبلت ماريا صباحها بوجه اصفر وعيون محمرة لكثرة ما ذرفت من دموع، وراحت تجيل عينيها في والديها وفي محتويات القصر لتتملى من منظرها جميعاً، وكأنها تودع المكان واهليه الى غير رجعة، حتى اذا ما وافى الليل سارعت الى فراشها متذرعة بحجة، وتظاهرت بالنوم حتى اطمأنت الى الهدوء الشامل في القصر، وتيقنت من استسلام الجميع لسلطان الكرى، قامت تجمع الضروري من حوائجها ووضعت يدها في يد وصيفتها وانسحبتا من المكان بحذر اللصوص، ولم يلبث الليل ان غيبهما في ستائره السوداء.

اما فلاديمير فقد قضى يومه على وجه آخر، قام في الصباح بزيارة كاهن الكنيسة واقنعه بعقد الزواج، ثم غادر القرية ليبحث له عن شهود من بين صغار الملاكين القاطنين في ضاحية المكان، فما عز عليه الامر، ومن ثم كر عائداً الى جادرينو ليكون في انتظار ماريا ولكن لسوء حظه هبت في تلك الساعة عاصفة مجتاحة من عواصف الثلج المشهودة، وكانت وجهته بعكس اتجاه العاصفة، فعجز عن شق طريقه، ولم يلبث الجو ان احلولك بالضباب الكثيف، فاضاع المسكين طريقه ووقع في حيرة بالغة، فما هو بقادر على متابعة السير، ولا هو بقادر على الانتظار ريثما تهدأ فورة الطبيعة والا فاته الموعد.

ولكنه فضل المخرج الاول، فاعمل مهمازه في الحصان المقرور الذي راحت حوافره تضرب اكوام الجليد، وبعد مسيرة ساعتين خالهما فلاديمير دهراً طويلاً تبين له ان طريقه ليست بالطريق السوي وانه يجدر به ان ينعطف الى اليمين ليكون في اتجاه جادرينو.

وازدادت العاصفة عتواً.. وغاصت قوائم الحصان في ركام الثلج، وكاد الصبر ينفد من فلاديمير ولكنه تمسك بهدب منه وراح يستمد من ضعفه قوة تعينه على الوصول وتخلصه من هذه الورطة.

واخيراً لاحت لعينيه اشباح سوداء، تبين فيها اكواخ فئة من المزارعين فحمل نفسه الى اقربها ومد يده المتجمدة وراح يقرع خشب النافذة، فما لبثت ان انفتحت واطل منها رجل ذو لحية ووجه متغضن وقال بلهجة جافة:

– ماذا تريد يا هذا؟ – هل جادرينو بعيدة من هنا؟

– كلا انها على مسافة قريبة من المكان.. ولكن من اين انت قادم؟ وما هي غايتك من الذهاب الى جادرينو؟

ولم يشأ فلاديمير ان يصارحه بالامر فحول مجرى الحديث سائلاً اياه:

– هل استطيع ان اجد عندكم

قصة

* اذيعت من محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية

ركوبة تحملني اليها ؟.

—اوه هل تنتظر منا نحن الفقراء ان نملك خيولاً وركوبات ؟.

— اذن هل استطيع ان اجد دليلاً ؟

— انتظر حتى ادعو لك ابني .

—واختفى الرجل وخيم السكون على المكان وراحت اعضاء فلاديمير ترتعش بقسوة ولكنه تغلب على ضعفه حين فتح الباب وخرج منه شاب اشار له ان يتبعه فسأله فلاديمير —كم تبلغ الساعة الآن ؟

— لقد اوشك الصبح ان يتنفس .

وفعلاً بدأت تنبعث صيحات الديكة وخلعت السماء عنها ثوبها الداكن ، وامتدت اصابع الفجر فكستها حلة من الالوان .

وغذ الاثنان السير فما وصلا القرية الا والطبيعة ملتفعة برداء من النور يتكسر على بياض الثلج ، فقصدا الكنيسة .. ليقرأ فلاديمير على بابها الموصد قصة شقائه .!

ونتركه على بابها في فيض دموعه ، لنعود الى ماريا !

***

جلس جفريل وزوجه حول مائدة الافطار ، وارسلا في طلب ابنتهما لتوافيهما فاقبلت بوجه شاحب والقت عليهما تحية الصباح بصوت خافت . فبادرها والدها بالسؤال .

— ايه ماريا .؟ كيف انت ؟

— افضل مما كنت عليه بالامس .

— لقد كنت جد مضطربة البارحة .

— نعم .. انها حالة عصبية ، منشؤها ضعف في البنية .

وجلست الى المائدة فما اصابت من الطعام الا قدراً ضئيلاً ثم غادرت المائدة رأساً الى فراشها وهي تحمد في سرها عدم اكتشاف والديها لقصة هروبها في الليلة السابقة . ووقعت ماريا فريسة مرض لازمها اسبوعين ، ثم كان اول شيء فعلته بعد ان تماثلت للشفاء انها حرقت رسائل فلاديمير وخبأت بعض الهدايا البسيطة التي كان الشاب قد اهداها اياها .. ولكن هذيانها باسمه طوال مدة مرضها اتاح للام ان تجد منفذاً الى سرها .. وان تمسك القصة من طرفيها ، فاشفقت على وحيدتها من هذا الحب العقيم ، وراحت تتوسل الى زوجها ان يفتح بيته لفلاديمير وان يتغاضى عن ذلك التفاوت في المركز والثروة . وان يضع حياة فتاته فوق كل اعتبار .. فقنع جفريل بعد ان كاد يذوب لسان براسكوفيا لطول التوسل والالحاح .. واتصل بفلاديمير عن طريق رسول ابلغه دعوة آل جفريلوفتش ولكن فلاديمير اعتذر عن ذلك بانه لا يفكر بالزواج قط .. لا من ماريا ولا من غيرها من الفتيات .. وان . . .

وكان جوابه طعنة في صميم كبرياء آل جفريلوفتش ، ولكن الوالدين كتما الامر عن ماريا اشفاقاً عليها ورحمة بها ، كما ان الفتاة بدورها لزمت الصمت وآثرت الانطوائية فما فاتحت مخلوقاً ، ولا شكت لانسان .

وكرت الايام .. ومات الوالد جفريلوفتش ، وآلت ثروته الى زوجه وفتاته اللتين انتقلتا بعد وفاته الى بيت ثان من البيوت التي تمتلكانها .. وكثر الطامعون في ماريا والحائمون حولها ولكنها لم تشجع واحداً منهم ، ولم تبد رغبتها في الزواج باحد .

اما فلاديمير فقد وصلت الانباء تحمل خبر قتله امسية دخل الفرنسيون موسكو عام ١٨١٢ ، وتناهى الخبر الى ماريا ، فاستدر دموعها وحرك قديم اشجانها .. وايقظ عاطفتها من غفوة .

ووضعت الحرب الروسية الافرنسية اوزارها عن نصر ساحق لجيوش روسيا البيضاء ، اذ تمكن جيشها من صد المعتدين وسرحت الحكومة افراد الجيش وضباطه فعادوا الى ذويهم ، وكان ظهور اي فرد منهم في كل مكان عام يقابل بعاصفة من التهليل .

وهنا لمع في سماء المجتمع نجم ضابط شاب يدعى بورمين كانت انباء بسالته في الميدان واستماتته في الدفاع عن وطنه قد سبقته ، فاشادت الصحف ببطولته ، وفتحت له المجتمعات صدورها على رحابة وراحت تطمع فيه كل فتيات الطبقة الراقية او المحسوبات عليها . . .

ولكن بورمين لم يعر التفاته لواحدة منهن ، وكان قد التقى بماريا جفريلوفتش في احد المنتديات فلم يكتم اعجابه بها ، كما ان الفتاة تسرعت واطرت ظرفه ولباقته امام نفر من الناس ، وهكذا اجتمعت لدى قالة الاشاعات اهم عناصر الاشاعة ومستلزماتها .. فاطلقوا لها العنان . واسرفوا في ذلك فضربوا لزواج بورمين وماريا المواعيد .

وطربت الام براسكوفيا للامر ، ولم تحاول ان تقطع دابر الاقاويل . بل راحت تشجع بورمين وتفتح له بيتها ، اذ رأت في شخصه المنقذ الاعظم الذي يعيد لماريا زهوة صباها . .

اما الفتاة . . فقد ظلت على صمتها . . فلم تصرح بشيء . . .

كانت براسكوفيا تجلس وحيدة في القاعة حين اطل عليها بورمين بقامته الرشيقة فحياها وبادرها بالسؤال عن ماريا ، فأنبأته انها تقوم بنزهتها اليومية في الحديقة وشجعته على اللحاق بها .. ولم تنس حين غادر الفتى المكان ان ترسم اشارة الصليب تفاؤلا واستبشاراً ، وتبركاً !!

ووجد بورمين ماريا تتفيأ ظل شجرة وارفة فاقبل يحييها بشوق ،

وراح يستفهم عن صحتها ومزاجها ، وبدأ يحوم في حديثه ليتوصل الى نقطة معينة . ولكن لم يبد على الفتاة اي ميل للاستفاضة فوجد الضابط ان من الانسب ان يطرق الموضوع رأساً . فادنى جسمه منها وامسك بكفها وقال : — آنسة ماريا . انني احبك . احبك بكل قوة الجندي . . .

واطرقت الفتاة برأسها ، واحمرت منها الوجنتان ، ولم تقل شيئاً .

واردف بورمين : اجل انني احبك . ولكن أنى لي ان اقاوم الاقدار التي كتبت علي ان اعيش تعيساً . ارزح تحت وطأة سر هائل .

ورفعت اليه ماريا عينين حزينتين وقالت :

— وفر على نفسك يا بورمين . انك تعرف جيداً انه ليس باستطاعتي ان اكون زوجتك . .

— اجل اعرف هذا . واعرف انك احببت ذات مرة . وكان حباً فاشلاً ولكنه كان كافياً لان يترك قلبك حفنة مدماة . .

— اصمت ارجوك لا ترد في عذابي . .

— عفواً يا آنستي . انني اعتقد بانك خلقت لتكوني زوجتي انا فقط . ولكن سوء طالعي يأبى علي هذه النعمة الكبرى . فانا — لو علمت — رجل متزوج . . .

وفتحت ماريا عينيها في دهشة فعاد بورمين يقول :

— لا تعجبي . لقد تزوجت حقيقة . وكان ذلك قبل اربع سنوات . اما المرأة التي وقفت معها امام المذبح ، والتي صارت بحكم المراسيم زوجتي ، فانني لا اعرف من تكون . ولا من اين قذفت بها الرياح الي . ولا اين حملتها فيما بعد . . قد تبدو قصتي لك يا آنسة بعيدة كل البعد عن التصديق ، ولكنها الحقيقة الواقعة . .

رغم ان لها من غرابة الوقائع ما يجعلني احياناً اعتقد انها مجرد حلم في ليلة مزعجة . . .

في بداية عام ١٨١٢ كنت ذات مساء في عجلة من امري لالحق بفرقتي في فلنا (Vilna) فهيأت لنفسي ركوبة اعملت فيها مهازي ، فانطلقت تسابق الريح . . وفجأة هبت عاصفة ثلجية حجبت عني الطريق فاصبحت عرضة للضياع . . فارتأيت ان اسير بمحاذاة النهر ، فسرت وقد كادت قواي تخور لفرط ما عانيت . . الى ان لاحت لي من بعيد اضواء باهتة فوجهت حصاني صوبها وتبينت انها قرية صغيرة فدخلتها التمس لي راحة في احد المنازل وكان اول ما صادفت فيها كنيسة صغيرة مضاءة . . وقد وقفت على بابها عربة صغيرة . . فسمعت صوتاً يصيح بي . . هنا . . هنا اين كنت بحق السماء . . لقد نفد صبر القس واغمي على العروس وكنا على وشك الرجوع . . اسرع يا صاح . . واقبل الرجل نحوي وشدني من كتفي ودخل بي الكنيسة وانا لا اكاد افقه شيئاً مما حولي .

وفي الداخل كانت تقف الى جانب المذبح فتاة حلوة التقاطيع ترتدي ثياب العرس البيضاء . . وكانت عيناها محمرتين من اثر البكاء . فتقدم الكاهن واوقفني بجانبها وراح يتلو صلاة تبينت فيما بعد انها صلاة الزفاف .

وفتحت فمي لاحتج واذ بالكاهن يقول : والآن ها انتما اصبحتما زوجين امام الله والناس . . تجمع بينكما المحبة ، وتشد كما الى بعض سلسلة مقدسة .

والتفت مذعوراً الى الفتاة . . لارى من عساها تكون . . واذا بها تحملق في وجهي وتصيح . . هذا ليس فلاديمير . انه رجل غريب .

وداخلني يا آنسة ماريا شعور بالخوف . . فتركت القوم في لغطهم واسلمت ساقي للريح .

وكان ذلك آخر عهدي . . بتلك الفتاة . . او بالاحرى تلك الزوجة التي هيأتها لي الاقدار .

وما ان انتهى بورمين بقصته الى هنا الحد حتى صاحت ماريا .

— يا للسماء . . اذن فقد كنت انت الرجل الغريب ، بورمين ، الا تذكرني . ؟

— ماريا . . يا عروسي الحبيبة . . يا لروعة المصادفة . . ويا لقدر يتمخض عن مصادفة غريبة ، في كل يوم جديد .

الآنسة سميرة عزام

في الليل

في الليل اذ تدفن الموتى لياليها
وتشكي الانفس التعبى على ابد
لم يدرِ ان يدي
حاكت مآسيها من كل ما فيها
وانني في سكون الليل اسيان
يصيح بي هاجس كالعقل مشدوها
يا رب
لِمَ كانوا.
لِمَ كان للارض تاريخ وازمانُ
ولم يؤبد هذا القيد ماضيها
فتحلم الناس لو يهديك شيطان
وتبصر الارض في شتى مناعيها
تلهو باعينها البيضاء ديدان
فلا تحسّ ،
ولا ترثي لما فيها
اليس في قلبك الربي انسانُ !
وسود الجبهة الشماء خذلان
كأن عاصفة لمت مراميها
وزمجرت ،
وقست
وانهد سلطان
لكنما الناس عادوا مثلما كانوا
يشد ارجلهم بالارض ثعبان*
والارض تنسج في صمت مآسيها
من كل ما فيها .

* الثعبان : رمز لارواح الموتى في الفلسفات القديمة وعند الاغريق ايضاً

بغداد — بلند الحيدري

توبة

يا ذنوبي
كفني الماضي .. وغيبي
انثري النسيان لي عبر الدروب
امنحيني قبساً في النفس قدسي اللهيب
واغربي ..
يسر في اشراقتي لحن نبي !
يا ذنوبي
انا تسبيحة ناد
في فم الطين المريب
اي عار ؟
***
حينما دنست احلامي الوضيئة
بالخطيئة
وثبت نفسي الى النار جريئة
تتلظى
وهي كالطفل بريئة
***
يا ذنوبي ..
توبتي عبر الطهور
فجّرت شلال نور
هي من عمقي الغزير
من ضميري
كنت في خاطر اكفاني هجسه
ترقص الديدان .. رجسه
فنزعت الروح للغيب .. فذابت
في ضمير الله همسه .!

عدن — لطفي جعفر امان

صورة وصفية

سعاد

بقلم وديع فلسطين

•

الناس مواهب. فقد يوهب الانسان عقلاً وحسب، وقد يوهب ملاحة وجه وحسب، وقد يوهب روحاً رشيقة مرحة وحسب، وقد يوهب ذكاء متوقداً فطرياً اصيلاً وحسب، وقد يوهب مالاً موفوراً وحسب. هذه منن من الخلاق يعطيها لمن يشاء ويمسكها عمن يشاء، فله وحده ان يعطي وان يمنع، وارادته جازمة حاسمة لا راد لها.

اما «سعاد» فهي تجمع من هذه الخلال اغلبها. فعندها عقل فطن تزدان به، ولها ملاحة وجه وملاحة قد، وعندها روح تكاد تطفر من بين جنبيها مرحاً ومفاكهة، ولها ذكاء متوقد فطري اصيل، ودعك من المال فما استطيبه معياراً لقيم الناس.

عرفتُ سعاد في عيد مولدها، فكأنما عرفتها يوم مولدها. عرفت عنها وفيها في قلة من السنين ما كنت حرياً ان اجمع اطرافه في كثرة منها، لان «سعاد» انبساطية – كما يقول علماء النفس – لا تدور حول نفسها دوران النحلة حول الزهرة، ولا تنطوي على ذاتها انطواء الروماني من القواقع حول ذاته، بل تجابه الناس كما هي، وتقول ما تريد هي ان تقول، وتعمل ما تحب هي ان تعمل، ولكنها في كل ذلك مطمئنة الى سلامة مسلكها، راضية بانها لا تدّعي ما ليس فيها ولا تصطنع ما لم تُفطر عليه.

الناس تبدأ حياتها على الارض، ولكن

☆

سعاد بدأت حياتها في الجو. والذين يمسكون بالارض تمسك بهم وتأبى ان تدعهم، اما الذين ينأون عنها فهم يألفون المروق من سلطانها ويعتادون التحرر من تزمّتها. فقد أبت الا ان تعمل مضيفة في الاجواء بين ركاب الطائرات ومارقات السحب وربة البيت قد تنجح في استضافة عشرة من زائريها وتخفق اذا اتسع نطاق الضيافة عن ذلك، ولكن سعاد تستضيف في كل يوم عشرات من اهل السرعة، كلهم يسابق قوى الطبيعة، وكلهم يلهث ليبلغ بغيته، وكلهم حلق الى العليا، مستطيباً فكاهة سعاد مستملحاً رفقتها في طريق اغلبه بالمخاطر محفوف. واذا كانوا قد قالوا قديماً: عليك بالرفيق قبل الطريق، فلست احسبهم اخطأوا كثيراً. لان وعورة الطريق ووعثاء السفر تُمحيان تماماً امام وجه سعاد الباسم، وروح الضيافة التي فيها تأصلت يا اعداء المرأة، ويا من تباهون بأنكم خصوم لها ألداء، اركبوا متن الجو، واني زعيم بأن تعودوا الينا مؤمنين بعد كفر، تائبين بعد إلحاد. فالمخاطر كلها تُنسى اذا كان الرفيق مثل سعاد، ولهفة المسافر اللاهثة تتبدد اذا تلفّت المرء حوله فوجد «سعاد»، بل ان المرء ليستزيد من مشاق السفر، ويستبطىء من سرعة الطائرة في سبيل ان ينعم بلحيظات اخرى مع المضيفة المتهادية، فهي تتهادى في الطائرة احياناً، وتقفز فيها كما تقفز الغزلان احياناً، لا تحمل هماً ولا تخشى قدراً. في الصباح تكون في القاهرة، وبعد ساعتين تحطّ في بيروت، وفي اليوم التالي تكون في استنبول، وقبيل ختام الاسبوع تكون قد ارتادت الخرطوم وبغداد وجنيف واسمرة. اما رحلة الاسكندرية فلا تدخلها في الحساب، لانها نزهة قصيرة تختطف اختطافاً.

ولست افشي سراً اذا قلت ان اول ما كان يستوقف بصري في الصحف هو حوادث الطائرات، وما ذاك عن رغبة بل عن رهبة. وكنت من قبل امرّ بمثل تلك الاحداث مر الكرام، فاذا وافتنا وكالة من وكالات البرق بنبأ منها اغفلنا نشره وابينا ان نفسح له في الصحف مكاناً.

وكيف لا يخفق القلب وجلاً والطائر غير مأمون، والآلة عرضة لعطب وهذا الغزال يركب الجو في كل يوم. وقد تسلم العقبى مرة ومرات، ولكن زلة واحدة تفجع، وخطأ صغيراً لا يستطاع تدارك عواقبه.

صحيح ان الاعمار بيد الله، ولكن حذار ان تجربوا الله. صحيح ان الحياة مغامرة، ولكن حذار ان تجعلوا منها مغامرة تتكرر في كل يوم. صحيح ان النفاثة الجوية مركب ليس بالعسير في معظم الاحيان، ولكن اذا فارقه يسره اصبح اعسر مركب واخطر مطية.

ولذلك اثلج صدري ذات يوم حديث اثيري ناعم زفّ الي ان «سعاد» هبطت

الى الارض لكي تقاطع الاجواء، فالأصدقاء جميعاً أعزاء، وما اريد ان افرط في احد، وليس من الهين ان ابدد علاقاتي بمن اعرف، ولو كان الامر بيدي لاستثنيت جميع الخلان من كل ضر. واذا كانت سعاد قد نزلت الى الارض، فقد غنمت بذلك صديقاً استهان بالحياة زمناً طويلاً وآن له ان يقدر قيمة الحياة. فمن اعتاد حياة الطير، نظر الى الدنيا شزراً، ومن جعل السحاب والنجوم رفقاء له، زهد في رفقة الكائنات الدقيقة التي تدب على الارض والتي يسمونها تجاوزاً «الانسان».

عادت سعاد الى الارض، لتسير على قدميها كما نسير، وتركب مطية الكهرباء كما نركبها وتضيع الوقت في الانتظار كما نضيعه، وتقتل الوقت الذي يبطىء سيره كما نقتله، وتستقبل قلة من الضيوف كما نستقبل، عادت لتعيش كما نعيش وتستقر كما نستقر، وتعرف المقاعد الوثيرة التي نعرفها. اما الطيران واخباره فما عادت تستهويها وما عادت تجتذب اهتمامنا، واما الأرصاد الجوية والعواصف الرملية ما كان منها ساحلياً او غير ساحلي، فلم تعد تحفل به. لم تعد بها حاجة الى اليقظة المبكرة والسفرة العاجلة والساعة الدقاقة ذات العقارب الكثيرة.

لكن حياة الجو لم تغير من سعاد شيئاً، فالفتاة التي عرفتها في عيد مولدها هي هي الفتاة التي تحصني في كل اسبوع بشتات من صحف الغرب تتلقاها بتتابع وانتظام. حياتها الرتيبة لم تأت على عشقها المرح البريء، وحبها للفن يتجلى في اذن موسيقية تعتز بها، وحبها للثقافة يبدو في كثرة ما تطالع بلغات ثلاث.

وسعاد، كمعظم ابناء هذا الجيل، متحررة في تفكيرها وفي اتجاهها تريد ان تقرر حياتها بنفسها ومصيرها بمشيئتها. فمن حقها ان تكون صاحبة الكلمة الاخيرة في كل ما يخصها، ومن حقها ان تجاب الى ما تطلب بدون معارضة اومقاومة. صحيح انه لا يسع احداً ان يقرر مناهجه في الحياة بتدقيق وتفصيل، ولكن في طاقته ان يقرر الخطوط العريضة والاتجاهات العامة التي على اساسها تتكيف الحياة كلها.

ولعل ابرز ما تتميز به سعاد انها ذات نفس سمحة حيية، ولكن هذه السماحة لا تلزمها بان ترائي وتخادع، ولا تكرهها على ان كلمة مديح في من لا يستأهلها، او كلمة ذم في من علا على المذمة، تحب ان ترى الناس بميزانها، وتحكم عليهم بمنطقها فلا تأخذ اقوال الآخرين دستوراً، ولا تسلم تسليماً أعمى بما يراه غيرها، فهي ذات شخصية متميزة تستطيع ان تقرر ما تشاء، مستندة الى ما يتجمع لديها من براهين وقرائن.

وصفوة ما يقال، ان سعاد قادرة على ان تثبت وجودها وكيانها، سواء طارت محلقة او حطت سائرة، او مرقت في غواصة تحت الماء. فأينما كانت، وحيثما اتجهت اسبغت على الرفاق سعادة، فهي كما قال الاخطل الصغير:

النجم بثغرك ارصده ... والليل بشعرك اعبده
والظبي لجيدك أعلقه ... ولعينك لا اصيّده
يا اخت البدر وذا شرف ... لاخيك فمن لا يحسده

القاهرة — وديع فلسطين

همسة في الشاطىء

يا حبيبي ان قلبي مثل ازهار الربيع
باسمات يانعات مشرقات في الربوع
قد كساها الظل ثوباً من ضياء، من دموع
ذات دل وانطلاق ما درت معنى الخضوع

يا حبيبي هذه الامواج تدعو العاشقين
لحنها اوحى اهازيج الهوى للخالدين
كم طوت في الليل اسراراً ونجوى الهامسين
كم حنت رفقاً بأجساد الشباب السابحين

انت يا بحر غموض، انت اوهام وسحر
اي سر بتّ تخفي، كل شيء فيك سر
لست ادرى منك امراً، حار فيك اليوم فكر
كل صخب كل همس فيك، انغام وشعر

يا حبيبي هذه الدنيا جمال وابتسام
كل ما فيها ربيع زاهر، صفو، وئام
ليلة غناء تشدو، كأسها سحر، غرام
ترقص الاوهام والاحلام فيها والسلام

يا حبيبي همسة طافت مع الامواج تشدو
هزها والليل اشواق المحبين ووجد
عالم للروح آمال وألحان وود
قد جفاه اليوم اخفاق وتعذيب وسهد

القاهرة — اماني فريد

جرجي زيدان اديب في الغالب وان عد من المؤرخين

بقلم نسيم نصر
مدير الدروس العربية في كلية الشويفات

الادباء في مدى الفكر كالزارعين في مساحات الارض، وافضلهم اكثرهم عملاً وصبراً، وابقاهم اعظمهم ايماناً بقيمة الرسالة التي عهد اليه القيام بها او ندب نفسه لها.

من هؤلاء الخالدين، الذين اخصب زرعهم واحتشد على بيادرهم جموع من المريدين وطوائف من المدعوين فخر العصاميين ومشرق الهلال على ظلمات العربية التي رافقت عصر الانحطاط، جرجي زيدان.

من هذه العاصمة الجميلة بيروت التي حضنت الفكر البشري طفلاً، واستمرت في عنايتها به، على جزر الحياة ومدها حتى اليوم طلع جرجي زيدان فقير اليد غني الرأس والقلب، حاول ان يتعلم الطب، بعد ان علم نفسه بنفسه ما يؤهله دخول الدوائر الطبية في الجامعات، فحال دون ذلك تمرد الاديب النابغ وفقره. وزجته الظروف في الحملة الانكليزية المصرية على السودان، فعاد منها عاقداً النية على ان يتجند للادب فكان في حوماته قائداً فذاً حالفه النصر، ذلك النصر الاغر الذي لم يعقد افضل منه لغير الرسل والنبيين ونفر من اقطاب العلم الانسانيين.

واعانه درسه لبعض اللغات السامية غير العربية، واتقانه للغة الانكليزية على اصداره كتاب « الفلسفة اللغوية » فاهله ذلك المؤلف لعضوية كثير من المجامع العلمية في اوربة وخصه باهتمام المستشرقين واستنادهم الى كثير من آرائه وتحقيقاته.

واذا كنا نذيع هذا عن زيدان، ونحن نميل به الى الادباء، فذلك لان فيه صفة الاديب اوسع ونفس الاديب اعم واذا قرن الادب بالعلم او ببعضه توفرت مادته وعظمت قيمته وكان اجدر بالخلود، او على الاصح، كان الادب الصحيح.

اما قرأت زيدان المؤرخ ؟ أما لفت نظرك ما ادخله على الحوادث التاريخية من الفصول الغرامية احترافاً منه لاساليب الادباء في تشويق القارىء الى الوصول الى غاية الموضوع واغوائه على نهج الدراميين، بطُرف العاطفة المبثوثة في سياق المادة ليشيع في ذهنه الايناس الى ما يقرأ ؟

اما خرجت من قراءة بعض رواياته التاريخية دون ان تقع فيها على النهج العلمي التصنيفي في التاريخ ؟ ذلك التصنيف الذي يقوم على تحقيق المنقول وعرضه على المعقول عرضاً مدروساً تصبح بعده اخبار التاريخ علماً بأصول تنساق فيه موادها في وحدة موضوعية مترابطة الاجزاء.

ولكن زيدان راوية حوادث طويل النفس واسع الاحاطة نزيه العرض انتج في عشرين سنة تقريباً ثمانين مجلداً كبيراً ناب فيها الحصب الادبي مناب الدقة التاريخية وشفعت به السرعة الملحة وحاجة منضدي الحروف المطبعية الى سطوره عما قد نجد عنده من الهفوات المغمورة بالفكر المنتج الذي افادت منه العربية كثيراً في ذر رماد اجيال الانحطاط عن تراثها الفني، وفي ايقاظ النائمين عن بعث امجادها من ذوي المؤهلات الذين كان نشاط زيدان التأليفي صوت الأذان المنزل في آذانهم وترجيع نواقيس الوعي في اسماعهم.

فزيدان اذن جسر الانبعاث، او على الاقل حجر العقد القائم ضابطاً لمنحنى قبوته، وحبه الشرق عامة والعرب خاصة املى عليه حياة متحركة في صفحات كتبه تلك الحياة التي قادها الاخلاص الى الصف الاول من رفوف المكاتب العربية.

واذا عدت لزيدان مناح كثيرة شاع منها عنه، الاديب والروائي والعالم واللغوي والصحافي والمنشىء، فتناولنا هذا العد بالدرس، رأينا ان الصقها به حرفة عمر وقيمة انتاج، بعد الاديب الذي نقدمه معرفاً بوصفه، منحى الصحافة.

ولسنا نخرج عن نطاق الموضوع ان نحن عرفنا الصحافة كما فهمها زيدان وهي ان يحدث في قرائه شوقاً الى ما يكتب وان

يعالج شأناً من شؤون الاجتماع يُوفق الى اختيار مادته والتبسط في عرضها ، وما يزال هذا التعريف حتى اليوم يتناول بوجه تقريبي صحافة المجلات اما صحافة الجرائد اليومية فلا تدخل الا جزئياً تحت هذا التعريف .

ولزيدان اسلوب انشائي خاص كان معرضه الواسع مجلة الهلال التي ما تزال حتى اليوم في الصف الامامي من الصحف العربية .

ولما كانت عبقرية زيدان منتاجاً الى حد بعيد يستغرق تعريف مؤلفاته مجلداً ضخماً رأينا ان نجتزىء الكلام منوهين بقيمة واحد منها وهو :

تاريخ آداب اللغة العربية

كتاب ضخم في اربعة اجزاء تتناول ، بشيء من التقريب ، تاريخ الفكر العربي خلال عصوره الطويلة في حالتي مده وجزره . ولسنا نقول جديداً ان رأينا ان ابتكاره وتسمية هذا النوع من التأليف بتاريخ آداب اللغة العربية كان دليلاً على سعة العقل وحضور الذهن ، فقد جد كثيرون الى تعاريف اخرى فكانوا وما يزالون يدورون حولها ويبقى الاصل لزيدان .

نعود الى توضيح القول بأن هذا الكتاب معرض لمراحل الفكر العربي في تاريخه المديد ، فنعمد اولاً الى الاشارة لان ما حسب على المؤلف ضعفاً ، في اول تناول هذا الكتاب بالدرس ، عد له بعد الاختيار التدريسي مقدرة لبقة جمعت اطراف السياسة الى محافل اللغة ، والسياسة التي تمد يدها الى كل صغيرة وكبيرة في ميزات الشعوب ، لم تظهر طوابعها واضحة في لغة من اللغات الحية بالقدر الذي ظهرت فيه على مخلفات القرائح العربية والمستعربة ، ولهذا اضطر من اقر زيدان على رأيه ومن ناقضه فيه الى الاعتراف بتقسيم عهد خلافة بني العباس الى اربعة عصور ، وفقاً للنفوذ السياسي الموجه ونظراً لما في هذه التجزئة « العصرية » من الوضوح المعين على تفهم الطوابع الفكرية وتبين ميزاتها ، ان لم يكن باساليب اللفظ فبعوامل التوجيه الحكمي والنفوذ الدخيل . ونرى بهذه المناسبة من البحث ، ان نحمد لوزارة التربية اللبنانية اخذها برأي زيدان في امر تقسيم العهد العباسي الى اربعة عصور ادبية ، فذلك العهد مناط النجوم من امجاد الفكر العربي ، واستغلاقه على الدارس يعني ذهاب مجهوده الادبي عبثاً .

في هذه الفترة من الزمن ، وقد بعدت الشقة ، شقة الزمن بيننا وبين النقلة والرواة والمؤرخين الذين كنا لزمن غير بعيد ، نغرف من مخلفاتهم لنبني أدبنا ونستطرد تفكيرنا العربي ، تحولنا الى جرجي زيدان فصلح ان يكون معتمد الدارسين ، وان يكون وهو المرطىء الكبير لقيمة المراجع التأليفية في العربية ، مرجعاً لنا ولكثير ممن لا يقلون عنه موهبة ذكاء وقيمة انشاء ، ولكنهم دونه جلد منقب وأناة باحث مجرّب .

واذ كانت الطليعة من رفاق زيدان في بعث القيم العربية ، ترميماً وتجديداً ، ضمت الاكفاء لذلك البعث في سائر وجوهه ، فلم يقم له من ناحية التنقيب الفكري من جارى مترجمنا ، فكان في جرأته هذه فريد « الباعثين » وقائد الجامعين المفيدين وقد اقر له بالفضل الاصحاب والخصوم ؛ ونذكّر الى جانب كلمة خصوم بقول ابن الوردي :

ليس يخلو المرء من ضد ولو ... حاول العزلة في رأس جبل

فكيف ، اذا كان امرأ يرتقي الى شاهق في مزدحم من المتدافعين الى القمة وقد اوشك ان يبلغها قبلهم ؟

بين ايدي مطالعي كتب الادب اليوم مختصر لكتاب «تاريخ آداب اللغة العربية» الذي يدور عليه الكلام في هذا الحديث، وهو في حقيقته يوشك ان يكون كتاباً غير المطول ، نحا فيه زيدان نحواً يختلف في التأليف عما جرى عليه في مطوله وعما يجري عليه عادة مؤلفو التاريخ على انواعه فالانسياق الزمني في تدوين التراجم والحوادث امر ملازم لجمع التاريخ ونشره ، ولكن زيدان رأى ان يتجاوز هذا الواجب المنطقي في تتابع اجزاء مادة كتابه « المختصر » تسهيلاً لمطالعته وتقريباً لتناول مضمونه عند الطلاب والمتأدبين، وان يجري في تقسيم البحث مراعياً الموضوع لا العصر، « فتناول كل باب من ابواب الادب فتكلم عن نشأته وتطوره وذكر من نبغوا فيه باسلوب سلس قريب المنال » .

وخلاصة القول ان عصامية زيدان شعلة من الهمة والنبوغ والجلد أنجبها لبنان فراحت تتألق في سماء مصر مشكاة هدى للمستيقظين من ابناء الغربية وموحية بالاطمئنان الى ان هذه البلاد ، ام النور التمديني ومنبت المجلين في حومات الفكر القديمة ستظل ابداً مشعة رغم غمرات كسوفها وانكفاءات ابطالها احياناً عن ميادين التراث الخالد

فمن دار الهلال العامرة اثراً فخماً للنابغ اللبناني العربي ، ومن معاهد العلم في هذا الثغر الصاخب بالحياة والطموح نرسل تحية الذكرى الخالدة والاعجاب والتقدير الى روح زيدان المستريحة الى مخلفاتها المتردد في جوانبها ، مدى الدهر ، قول المتنبي :

واذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الاجساد

الشويفات - لبنان ... نسيم نصر

ادب النصوص

بقلم جرجس كنعان

لم يتفق علماء العربية على معنى الادب فقد اغفلته المعاجم وجانبته النصوص القديمة وحار فيه الاجتهاد فجاء بما لا يسد رمقاً فضلاً عن اشباع نهم، فان اشتقاقه لا معنى حقيقي له فهو الظرف وهو الدعوة الى الطعام فاذا رجعت الى الشعر الجاهلي وقفت وقفة الدهشة بله انه لم يثبت في حديث ولا جاء في القرآن الكريم. اضف الى ذلك ان ما بين ايدينا من الشعر الاسلامي لا تجد فيه كلمة ادب وان جهد بعضهم فوجد بيتاً فيه كلمة اديب. وتطلق على الجمل النجيب القوي وقال ان المجاز في العربية كثير المداخل والمخارج ومع ذلك لم يرو لنا غلة.

وجاء عصر المحدثين فوجدنا في كتابات ابن المقفع كلمة الاديب والادب تحتل مكاناً رفيعاً وهي ترادف عنده التهذيب والثقافة بمعناها المطلق.

ومرت عصور العربية على اختلاف تطورها بين تصعيد وتصويب ولم نرَ احداً يحمل لقب الاديب الا ما كان من امر كشاجم فقالوا ان ألفه مختصرة من (اديب). اما ذكر الادباء في المجاميع المتأخرة عند قولهم قال احد الادباء فلا يمكن ان يفسر شيئاً. فالادب بمعناه اليوم هو من ثمار هذه النهضة الاخيرة ويغلب على الظن انه وضع ترجمة لكلمة Littérature الاجنبية لان المتأخرين عندما الفوا في البلاغة اطلقوا عليه علم الادب واعجاز القرآن اي انه كان يرادف البلاغة احياناً والنقد حيناً.

ولم نر كلمة الادب على ما نعرفه اليوم الا بعد احداث نظام البكالوريا في العهد الاخير.

ولما ظهرت هذه الكتب تلبية لنداء المناهج الرسمية تبارى الكتاب في حد الادب فرأينا منها الواناً تجمل بما يأتي:

« الادب هو الكلام الجميل حسن الوقع في السمع سهل اللفظ موضوع اللذة والاطمئنان » وحقيقة لم افهم هذا الحد فقد يكون الكلام حسن الوقع في السمع كأن يكون موسيقياً كما تكون القطع الموسيقية الشهيرة او كما سمعه ابو تمام من القينة الفارسية فلذ له ولم يفهم معناه. اما سهولة اللفظ فقد لا يكون من الادب في شيء. فاكثر كلام العامة سهل لذيذ ولكنه غير ادب واخيراً مرده الى اللذة ولم اجد احداً يحدد اللذة ومرجعها الذوق وقد لا يكون سليما.

وهناك حد ينسبونه الى الجاحظ وهو: « الادب هو الاخذ من كل شيء بطرف » وهو حد جاحظي غير جامع ولا مانع ويمكن ان يقابل بين العليم والاديب فمن العليم يطلب التقصي والركون الى ما يصح السكوت عنه، اما الاديب فهو بلبل المجالس، كما كان الاصمعي مثلاً، ومهما يكن فهو شيء من لزوميات الاديب. والحد لم يزل ناقصاً لا تطمئن اليه نفس الباحث المحقق. اما ابن المقفع فقد كتب كثيراً في الادب وربما كان هو الوحيد الذي عني بهذا الامر حتى افرد له كتباً فقال « الادب الكبير » « والادب الصغير » وان كان النعت عند التحقيق هو للكتاب كأن يقول كتاب « الادب الكبير » وكتاب « الادب الصغير » ومن تصفح هذا الادب لم يجد له حداً كأنه شيء معروف فقد جعل له قواعد وقال على الانسان ان يكون كذا وكذا وذكر علاقته مع ربه ومع اخيه ومع حكومته كانه درس اخلاق moral فقط وليس هذا ما يعنيه الادباء في هذا العصر وان كان الادب عند ابن المقفع يرادف كلمة افرنجية اخرى هي éducation التي لم نستطع الى الآن ان نضع له كلمة عربية ففيها معنى التهذيب والرقي وسعة الاطلاع كانها ترادف الادب الذي يعنيه ابن المقفع. ومع ذلك لم نعلم ما هو الادب او هو غير ادب هذه الايام.

ثم فتح باب الاجتهاد على مصراعيه فاذا احدهم كما يروي طه حسين عن استاذه نيللينو في الادب الجاهلي ان الكلمة المعروفة هي الآداب وزن آبار ويكون المفرد الدأب لا الادب ومعناه الجد والعمل المتواصل وهي من لزوميات الادب لا الادب نفسه ولم يزدنا هذا الاجتهاد تعريفاً بالادب.

اما ابن خلدون مؤرخ العلوم ومحددها في مقدمته فيقول حده المشهور :

«هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه او نفيها وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ».

ثم يذكر بعد تبسط كتب الادب كما كان يروي شيوخه فيقول هي اربعة : البيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد وادب الكاتب لابن قتيبة والامالي للقالي. والرجوع الى فصل الادب في المقدمة يوضح كثيراً من ادب النصوص الذي نعني فهو انما يشرح هذه الكتب التي تصفحناها وما جرى مجراها من الامالي فعجبنا

كيف حشر كتاب ادب الكاتب بينها وهو ليس من معدنها ولا يشبهها . اما الثلاثة الاخرى فيمكن ان نقول انها نصوص مختارة كتب عنها الجاحظ باسلوبه الخاص واعادته وتقصيه ولكنها تختلف عما في الكتابين الآخرين وهما الكامل للمبرد الذي اختاره محمد عبده لتدريس الادب في الازهر والامالي للقالي وان كان متصنفاً بالعصور المتأخرة .

ومعنى كل هذا ان الادب عند ابن خلدون والقدماء هو العمل المجهد للسير على اساليب العرب القدماء .

ويدلنا التاريخ من كعب بن زهير الى ابي نواس الى مجالس ابن دريد ومجالس الشريف المرتضي الى حلقة ابي العلاء ان الادب ودرسه لم يكن الا كما كان يفعل المبرد وبعده ابن دريد كما في امالي القالي وهي التمرس على النظم والنثر على اساليب العرب فضلاً عن ان الغناء كان من لزوميات الادب ولم يكن يضع من الهمة كما كان قديماً وهذا كتاب الاغاني الكبير وصاحبه قاض محترم .

ولما كان نظام البكالوريا وقد فرض الادب علماً حرنا في تحديد هذا الادب ورجعنا الى كل هذه الحدود فاستخلصنا منها الحد المعروف :

« الادب هو البحث في منظوم اللغة ومنثورها من الجهتين الانشائية والاخلاقية وما يحتاجان اليه من نقد وتفسير ».

اما البحث فكلمة نابية وصحته درس المنظوم وهو بها اليق اما الجهة الانشائية فهي كلمة قديمة من معناها المبنى وهو عرض الكلام على اصول اللغة ومنها « عمود الشعر » كما هو معروف قديماً وفي ابن خلدون ايضاح لهذا القول فهو يقول بعد توطئة « من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الاجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة اثناء ذلك متفرقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من ايام العرب تفهم به ما يقع في اشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الانساب الشهيرة والاخبار العامة » الى ان يقول « الادب في حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان والعلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث اذ لا مدخل غير ذلك من العلوم في كلام العرب الخ » اما الاخلاقية فهي المطلوبة في ادب ابن المقفع .

اما الحاجة الى النقد والتفسير فهو ما دعا اليه الجاحظ من الالمام بكل فن .

وجئنا ندرس هذه الآداب ونعني بها المنظوم والمنثور على ضوء هذا الحد فرأينا مصاعب جمة لان النقد يحتاج الى اركان اهمها خمسة الكاتب ، الكتاب ، المكتوب له ، الزمان ، المكان . فضلاً عن ملامسات كل ركن منها . هذا هو اسلوب ابي الفرج الاصفهاني من ذكر الاخبار في القول عن الشاعر او المغني اذ ان كل خبر يفسر شعراً او مظهراً من مظاهر الادب .

اما التفسير فدونه الاهوال من معرفة المفردات والاعلام وايام العرب واخبارها ثم الاسلام وما استجد فيه وما كان له من المعارف العامة ومن هنا رأينا هذا التقصير في هؤلاء الناشئين من الادباء لان هذه البحور تحتاج الى ملاحين غير هؤلاء الذين شغل العلم الجديد كل اوقاتهم .

ثم رأى بعض الموجهين الرسميين ان يفرضوا النص فرضاً في المناهج فكان منها ادب النصوص وكانت ثماره جنية شهية فقد

احدث نشاطاً قوياً في الآداب ولو اخذت وزارة التربية الوطنية بهذا النوع لأدت الى العربية وابنائها والادب وطلابه خير الخدمات .

وبعد فقد حان ان نبحث هذه النصوص على ضوء الادب ولا يصعب علينا ذلك فقد وطأت هذه الصعاب الامتحانات الرسمية فهي تعطي النص ثم تعقب عليه بالاسئلة منها النحوية ومنها البيـانية والعروضية ثم معرفة المفردات ثم المعنى الواضح والدرس الادبي بجمل خاصة تحتاج الى شروح وعند ذلك يعرف الاستاذ ما يعد ويعرف الطالب ما يستعد له .

اما تفسير النصوص ففيه الصعوبة كلها فان بعض النصوص تبنى على حادثات فتكون مجهولة في عصورنا هذه وللايضاح نقدم بعض الامثلة :

قرأت من عهد بعيد هذا البيت المشهور .

اريد حيـاته ويريـد قتلي   عذيرك من خليلك من مراد

فلم افهم ما يقصد بقوله خليلك من مراد وعدت الى المعجمات فلم انقع غلة وعدت الى حادثات الخبر فاذا هو بيت قديم تمثل به الامام علي بن ابي طالب عند رؤية عبد الرحمان بن ملجم فليس هو بعلي ولم يكن لابن ملجم علاقة بمراد ولم يكن معنى الكلمة مراد مصدراً ميميا فلا الاشتقاق يوضحها ولا التاريخ يدل عليهـا وسألت عنها مـن كنت احسبهم راسخين في اللغة والعلم فكان جوابهم غير مقنع ولا مجد وقد كانوا يهزأون من انفسهم ويجتهدون ثم يقولون كفى كفى .

وبعد الاطلاع علمت ان البيت قديم وانه وجه الى رجل من مراد (قبيلة) وان عذيرك انشاء وتجريـد اي من يعذرني من صديقي المرادي هذا الذي اريد حياته ويريد قتلي .

وهاك مثلاً آخر . ورد بيت في خطبة علي في نهج البلاغة

شتان ما يومي على كورها   ويوم حيـان اخي جابر

اما حيان فهو احد امراء العرب وهو بمثابة ملك في الجـاهلية وهو اعرف من جابر اخيـه فكيف يعرف شاعر كالاعشى ملكاً بأخيه المجهول . واجتمعنا حلقة لغوية ادبية واخذ كل من يجتهد ويفرض الفروض واخيراً رجعنا الى شرح النهج لابن ابي حديد فظهر المعنى واضحاً اذ قال ان حيان هذا عاتب الشاعر فقال له استرها علي اي غلطة وكفى .

وعلى هذين المثالين يمكن ان نقيس الوف الامثلة .

اما صعوبة التفسير فلها اسباب كثيرة اهمها .

١ — معاجم اللغة :

هذه المعاجم في الزمن الاخير لم تكن تهتم الا بكلام العرب في الجاهلية وصدر الاسلام الى سنة ١٣٢ هـ . ومن المعلوم ان هـذا الكلام محدود ولا يسع من ادب اللغة الا القليل . تأخذ المعجم فلا تجد فيه ذكر الحادثات فضلاً عن الكلمات المحدثة وان يكن في بعضها كالقاموس للفيروزبادي اثر الاعلام ولها مقام هام في البحوث يعرفها من يدرس هذا الأدب القديم .

٢ — كتب الاخبار والسير والمغازي : وفيها ذكر حادثات متنوعة تتسع لكلمات واشارات وردت في الشعر القديم ونثره ومنها ما لا تجده الا في كتب فقدت، نقل عنها في الزمن الاخير وهي محشوة بالاغلاط فبيت الفرزدق :

واني لاخشى ان خطبت اليهم   عليك الذي لاقى يسار الكواعب

يحتاج الى ذكر قصة فيها ما لا يستطاع قوله ولا كتـابته وكثرة هذه الاقوال وتضاربها يحار فيها الاديب .

٣ — كتب الامثال وشروحها المختلفة من يوم كتب المفضل الضبي « امثال العرب » الى يوم جمع الميداني هذه الامثال وترى فيها هذه الشروح المتباينة واليك مثلاً منها :

« وافق شن طبقة »

فيقول الشن هو السقاء البالي ، والطبق معروف ، فشن بال يوافق طبقاً بالياً .

ومن قول غيره ان شناً هو علم لرجل وطبقة هو علم لامرأة وانهما اتفقا على ذكاء ماض ثم تزوجا فقيل « وافق شن طبقه » .

« اختلط الحابل بالنابل » .

الحابل اللحمة، والنابل السدى، اي اختلط القوم كاختلاط النسيج الحابل صاحب الاحابيل من الصيادين والنابل الرامي بالنبل كأنهم عند ظهور الاسد اخذتهم الدهشة فاختلطوا بغير نظام .

وهناك روايات غريبة لا يقرها المنطق ولا المنقول ويشفـع بقبولها ان ليس كل ما يقال هو المعقول .

٤ — الكتب العلمية :

هناك كلمات كثيرة لا اثر لها في كتب اللغة كأن تأخذ كتاباً لابن سينا او للرازي فتجد كلمات كثيرة لا اثر لها في المعاجم منها الانبيق مثلاً والاسطقسات وما شابهها فمعرفتها تحتاج الى مراجعة كتب العلم والفلسفة .

٥ — كتب الجاحظ وشعر ابن الرومي وامثالهما :

ان الجاحظ كتب عن العامة وفي كتبه كلمات لا تجد لها في المعجمات اثراً ولا في التاريخ عيناً فتحتاج في مراجعتها الى كد ذهن

وقد ضاعت مراجعها ومعانيها بذهاب عصرها ومستعمليها ومن كان في شك من هذا الكلام فليراجع رسالة (التربيع والتدوير) للجاحظ ويجرب ان يجاوب هذه الاسئلة والاحاجي وان يفهم معاني هذه الكلمات الغريبة من التاريخ والعلم والغريب. وقد وقف العلم لا يجير امام هذا الاعجاز. وكذا قل على ما جرى مجرى هذه الرسالة لابن العميد ولابن زيدون حتى احتاج ابن نباتة ان يشرح رسالة واحدة لابن زيدون في كتاب خاص وكذا قل عن كتاب البخلاء للجاحظ وفيها هذه المداخل والمخارج والكلام الغريب الذي لا يهتدى اليه.

اما شعر ابن الرومي فيكفي ما يذكر من اسماء المآكل والفواكه والاسماك حتى تعيا « والمرء يعجز لا محالة ».

هذا فضلًا عن الاحاجي واللحون، التي كان يستعملها النابهون في ذلك الزمان وكل لغة لها مثل هذه الرموز وقد تولى العلماء شرح اللغات الحديثة وبسطها ووقفنا لا نبدي ولا نعيد متكلين على هؤلاء الناشئين ان يسيروا بسير الفحول فيتولون مهمة التفسير والنقد.

امامي الآن كتاب الكامل للمبرد فتحته اتفاقاً لاجد نصاً يصلح للتمثيل فاذا هو :

لله سيف في يدي نصر	في حده ماء الردى يجري
اوقع نصر بالسواجير ما	لم يوقع الجحاف بالبشر
ابكى بني بكر على تغلب	وتغلباً ابكى على بكر

فنصر والسواجر والجحاف والبشر وبكر وتغلب كل هذه تحتاج الى اطلاع. وخلاصة ان نصراً هذا هو نصر بن شبث العقيلي وكان اوقع بقوم من بني تغلب بموضع يعرف بالسواجير. اما الجحاف فتجد قصته في كتب التاريخ والادب وخاصة في ذكر الاخطل، هذا مشكل الاعلام التي لا نجدها الا في الاطلاع الواسع.

ودونك نصاً آخر لابي تمام من قصيدته المشهورة (الحق ابلج والسيوف عوار).

لو لم يكد للسامري قبيله	ما خار عجلهم بغير خوار
وثمود لو لم يدهنوا في ربهم	لم ترمَ ناقته بسيف قدار
ولقد شفى الاحشاء من برحائها	ان صار بابك جار ما زيار
ثانيه في كبد السماء ولم يكن	لاثنين ثان اذ هما في الغار
وكأنما ابتذا لكيما يطويا	عن ياطس خبراً من الاخبار

وعلى العلماء والفقهاء، واهل الدين والتاريخ، والاخبار، ان يوضحوا هذا النص. وليس هذا بفريد في الشعر العربي قديمه وحديثه، ودونك نصاً ثالثاً لشوقي واظنك لم تزل تذكر حادثاته :

صادت بقارعة الصعيد بعوضة	في الجو صائد بازه وعقابه
واصاب خرطوم الذبابة صفحة	خلقت لسيف الهند او لذبابه
طارت بخافية القضاء ورأرأت	بكريتيه، ولا مست بلعابه
لا تسمعن لعصبة الارواح ما	قالوا، بباطل علمهم وكذابه

ومن يرجع الى اخبار سنة ١٩٢٢ وما بعدها يفهم هذا النص على حقيقته. وتصور القرون تكر، وتعمى على الادباء مثل هذه الاخبار.

فالادب الحقيقي قديماً وحديثاً يرجع الى هذه النصوص والاصول المقررة، ولا مندوحة للاديب من سلوك هذه الطرق والا كان ممن يتخبطون على شطآن بحور الادب.

صور - لبنان

جرجس كنعان

من الاعماق

لعمر النص

دمشق

أيها النجم : دمت في إشراق جنّ صبري فهل تحلّ وثاقي ؟
أملي في السماء والجسم باقٍ فوق ارض الهموم والارهاق
كذب القلب ! أين ثورة يأس فيه تودي بالجبن والاشفاق
أتراني تركت خلف خطى الايام دنيـا شبابي الدفّاق
ام رأى الدهر ان اموت وفي القلب بقايا تندّم واحتراق ؟ !
يا لنفسي ! اكاد أنكرها اليوم ولكن ماذا يفيد إباقي ؟
غيّرتها السنون..فهي حطام من بقايا الشجون والاشواق
أنغضت رأسها وقد قهقه الدهر واصغت اليه في اطراق
ويحها ويحها..الا تنبذ الجبن وتقضي على السنين البواقي
ويحها لا تثور ! والالم الجارف يجري في غورها الخفاق.
أتراها تعلّ من خمرة الامس وتسهو عن الرحيق البـاقي
أم تراني بها... أكفّر عن حلمٍ خفي يقرّ في أعماقي ؟ !

***

أيها النجم : دمت في اشراق جنّ صبري فمن يحلّ وثاقي !
الليالي لم تبقِ مذ علقتني غير يأس في القلب غير مطاق
خنقت كل رغبة فيّ حتى مـا أرى في الحياة غير نفاق
شعثت كل ما رسمت من الحلم وأودت بوهمي البراق
وطوت في ظلامها حُلم العمر وانس القلوب والاحداق !
عبثاً احدج الفضاء... فما ابصر غير السكون والاملاق !
لا خيال امام عيني يسعى لا ولا منيـةٌ وراء المـآقي
بل فراغ تضـل في تيهه الروح وتعيـا بقطعه اشواقي
كلما أوغل الخيال تراءت فوق عيني كـآبة الاخفاق
وكأن الزمان أغلق دوني كل باب يخال منه انطلاقي !
أيها النجم : اي شيء ترى يكمن خلف الغيوم والآفاق ؟
الهزار الحزين لن يعبر الغاب ويصغي لغمغمات السواقي
الزمان العتي شل جناحيه وأغرى يديـه بالاطواق !
ايها النجم : لن نعود لعهد كان دنيا من الرجاء الدفّاق
انا ذاوٍ غـداً اذا ذوى الورد ومر الخريف بالاوراق
نازف من دمي بقية حلم خلفتهـا الايام في أعراقي ! !

***

أيهذا الخريف : لا أرهب الريح... فعد بالغيوم والابراق
الربيع الذي اؤمل ولّى في ذهول ورقبة واشتيـاق !
انا شيخ ادبّ في شعب الارض.. واهذو بغربتي وفراقي
انزوي في الحياة اذكر دنياي واحيا في الامنيات العتاق
انشر الذكريات بين يدي يومي وارنو لهن في استغراق
وعلى المقلتين نظرة يأس خلفتها الكروب فوق حداقي !
انا شيخ أمر بالارض سأمان واطوي الحيـاة في اشفاق
وارى الحلم كيف يفنى على الجفن .وتخبو رؤاه في اعماقي !
ايهذا الخريف... عدت الى الارض... فماذا لقيت في آفاقي؟
كل شيء قد مات... غير حنين خالد في دمي وفي أحداقي !!!

المتطبب الدجال

قصة

للكاتب الامريكي ارسكين كالدول

Erskine Caldwell

ترجمة مبارك ابراهيم

لم يكن في المدينة رجل او امرأة يظن ان (ايفى هندرسون) ستجد على مدى الايام رجلاً يتزوجها . و(ايفى) نفسها قد فقدت او كادت تفقد كل امل في ان تصبح يوماً ما زوجة . ولكن ذلك كان قبل ان يجيء المدينة ذلك المتطبب الدجال . .

وكان ذلك الدجال واسمه – كما يقول – (البروفسور ايتون) رجلاً طوالا . ضامر البطن ، معروق الوجه . وكان يلبس سروالا قد كثرت فيه التجاعيد . كما كان قميصه ينتهي بزيق صنع من (الباغه) .

واذا رأيته ورأيتها حسبته يكبرها بعشر سنين ، اويصغرها بعشر سنين . . فقد كان من العسير على من يراه ان يعرف حقيقة سنه . كما كان من العسير على من يسمع حديثه ان يعرف البلد الذى انجبه . . فقد انحدر الى المدينة في صباح يوم قائظ من ايام شهر اغسطس ، ليبيع للناس عشباً مقوياً : سماه العشب الهندي . وكان هذا الدواء (الشافي لكل مرض) يشبه في طعمه شراب (العرقسوس) وكان يضعه في زجاجات مزخرفة خضراء . وكان على كل زجاجة غلاف نصفه ابيض . ونصفه اسود . وقد رسم على الغلاف صورة رجل ممتلىء البدن . سمين الضواحي .

وقد اعلن (البروفسور ايتون) انه يتحدى كل رجل من الاحياء لو استطاع ان ينكر عليه قوله ان دواءه هذا يداوي كل مرض يعرفه الرجال ، وانه كذلك يداوي بعض الامراض التي تعرفها النساء . وكانت (ايفى هندرسن) اول مخلوق في المدينة جاءه ليدفع ريالا ثمناً لزجاجة من ذلك الدواء . وكانت كذلك اول مخلوق عاد مرة اخرى ليشتري هذا الدواء .

وكان المقعد الخلفي في تلك السيارة السياحية التي يغطيها الوحل من كل جانب هو المكان الذي اتخذه (البروفسور ايتون) صيدلية يبيع فيها دواءه . وقد دفع الى عمدة البلد ورقة من ورق النقد ذات الريال . وكانت جد ممزقة ، وذلك لقاء الاذن له بممارسة التجارة في بلده . وقد اناخ سيارته في قطعة ارض فضاء قد غطتها الاعشاب البرية .

ولما جاءته (ايفى) لتشتري زجاجتها الثانية . كان يحيط بالسيارة رهط من الزنج الذين كانوا لا يملكون ثمن الدواء . ولكنهم يقنعون بشم رائحة الابخرة الكحولية التي تتصاعد من زجاجة الدواء عند فتحها .

ومدت (ايفى) يدها بذلك الريال . وكان من الورق الذي تحسبه – اذا رأيته – ورقة كانت تلف بها قطعة من الجبن الكثير الدسم . وقالت – وهي تبتسم – للبروفسور : لقد عدت اليك هذا الصباح لاشتري زجاجة اخرى . فأن تلك التي اخذتها الليلة الماضية قد جعلتني احس بشيء لم احس به من قبل ابداً . وقد جربت كل دواء في البلاد فلم اجد ما وجدته في دوائك .

قال البروفسور : عفواً يا سيدتي فأن هناك مئات من المستحضرات الطبية تغمر الاسواق اليوم ولكن هناك دواء واحداً من الاعشاب الهندية . وسوف توليني جميلاً لا ينسى اذا أشدت بما اسديته أنا الخير الانسانية . واذا أعلنتِ انت عن اسمه وعلاقته التجارية ، فان ذلك العشب الهندي هو الدواء العجيب الشافي لكل الامراض مهما اختلفت اسماؤها ، وتباينت اوجاعها . وهو نافع كل النفع – بصفة خاصة – لامراض النساء اللاتي بلغن اشدهن يا سيدتي . . .

–ارجو انلا تخاطبني بيا سيدتي . . . ذلك لاني لم ازل بعد فتاة صغيرة غريرة . ولم اتزوج بعد . . . فازاح (البروفسور ايتون) قطرات العرق من فوق شفته العليا . ونظر الى (ايفى) وهو يقول: يا للغباوة التي بدت مني يا آنسة ! فان كل واحد يستطيع اذا نظر الى وجهك الصبيح ان يعرف انك ما زلت في غضارة الصبا ونضارة الشباب .

واني لقائل ان(العشب الهندي المقوي) هو دواء نافع للآنسات الصغيرات . ونظرت (ايفى) حولها لترى ان كان قد سمع هذا القول احد من الزنوج الذين كانوا واقفين في مكان قريب . ولقد تمنت (ايفى) ان لو جاء بعض النسوة اللاتي يقمن في ذلك الشارع ليسمعن حديث (البروفسور ايتون) عن شبابها ونضارته . ثم قالت موجهة القول الى (البروفسور): ليس من عادتي ابداً ان اتحدث عن نفسي ولكن الا تراني حقاً جد صغيرة . وان بيني وبين سن

الزواج امداً بعيداً . . . ؟

واخذ (البروفسور) يعيد الحديث عن دوائه فقال — بعد ان اشعل سيجارته المطفأة — ان العشب الهندي المقوي يا آنستي دواء ذو فائدة خاصة للفتاة غير المتزوجة . وهو اكبر كشف علمي في ميدان الطب منذ نشأ الانسان على هذه الارض .

ولقد ظفرت بالوصفة الطبية لهذا الدواء العجيب من شيخ كبير من شيوخ الهند في بلادنا . ولقد عاهدته — وانا جاث على ركبتي — ان انذر له على نفسي — ما دامت لي الحياة — ان اجوب انحاء هذه البلاد لاقدم هذا الدواء علاجاً للرجال والنساء من الذين اقعدهم المرض قبل ان يعرفوه . . .

وقد اضطر (البروفسور) — من فرط التعب — ان يتلبث قليلاً ليستمد النفس . وبينما هو كذلك اذ نظر نظرة من عل فرأى وجه (ايفى) رؤية كاملة .

وقالت (ايفى) : اني كلما فكرت فيما تقوم به من عمل نافع عرفت اي رجل عجيب انت !

ودار البروفسور (ايتون) حول نفسه دورة واشعل مرة اخرى سيجارته المطفأة . ونظر الى (ايفى) من كل زاوية من زوايا النظر .

وكانت (ايفى) تحاول ان تتقي نظراته وهي تقول له : ان هذه هي اول مرة نلتقي فيها منفردين و . . .

فقاطعها بقوله : لست ارى من حق فتاة صغيرة في مثل جمالك ان تعارض في ان ابدي اعجابي بها . ذلك الاعجاب الذي تحيط به هالة من الخلق الكريم . فقلما لقيت فتاة في مثل جمالك وفتنتك . . . حتى لقد افقدتني تلك الفتنة وذلك الجمال حرية التصرف والاختيار . اما الآن . وقد عرف كلانا صاحبه حق المعرفة . . . فلا عليك ان تأذني لي في ان ابدي اعجابي البريء النقي .

قالت وقد بدا عليها الانفعال : اتظن حقاً وصدقاً يا بروفسور اني جميلة ؟ لقد قال لي هذا القول اناس كثيرون من قبل . . . وقد تعودت اذني سماع هذ الثناء . ولكنك اول رجل يقول هذا القول في ايمان المؤمنين المصدقين !

وحاولت (ايفى) ان تخطو خطوة الى وراء ، ولكنها ألفت نفسها واقفة على حافة السيارة . وخطا نحوها (بروفسور ايتون) خطوة اخرى ليكون اقرب اليها . فأصبحت لا تستطيع ان تتقدم او تتأخر وقال لها البروفسور : يافتاتي العزيزة ليس عندي خلجة من الشك في امر جمالك . والحق اقول لك انك — فيما اعلم — اجمل فتاة اسعدني الحظ بلقائها في سياحاتي العديدة . وأنا اجوب انحاء هذه البلاد الواسعة من الشاطىء الشرقي الى الشاطىء الغربي .

— انك لتجعلني احس اني رجعت الى ايام الطفولة . وانك لتجعلني مختالة مزهوة يا بروفسور ! وانك لتجعلني كأنني . . .

وقبل ان تتم حديثها جرى البروفسور ليجيئها بزجاجة من الدواء ثم اخرج سدادتها بأسنانه وقدمها اليها وهو يقول : تقبلي هذه الزجاجة مني يا فتاتي الغالية . ثم اشربيها وانظري بعد ذلك تجدي نفسك قد صرت احسن حالاً .

— لقد شربت زجاجة كاملة ليلة امس . شربتها قبل النوم فجعلتني اطفر من سريري واجلس في الشرفة واغني . . . والآن قل لي يا بروفسور ما هو المرض الذي يبرئه دواؤك اكثر من اي مرض سواه ؟

— ان هذا الدواء نافع لكل مرض ، وليس هناك مرض يعرفه الطب دون ان يكون لهذا الدواء القدرة على تخفيف اوجاعه وآلامه . ان لم يستطع برءه وشفاءه .

ولما تجرعت (ايفى) الدواء — وكانت قد اقتربت من مكان البروفسور — قالت : ان هذا الدواء يجعلني احس كأنني على وشك ان اقفز فوق الارض او ان اطير في جو السماء .

— (وبعد) فأني ارى ان استأذنك في ان اصحبك الى منزلك في سيارتي ، فقد حان موعد فراغي من العمل . وقد أزف موعد العشاء . فقولي اين تقيمين ؟

— انك تتكلم على طريقة الرجال الحالمين . قالت هذا القول ويدها تلمس ذراع البروفسور .

— اذن فقد أذنت ؟ — ما في ذلك شك !

فلما ضمتها السيارة نظرت (ايفى) الى (البروفسور) وقالت : اني اراهنك على انك مثلت هذا الدور . دور المحب المدله مع فتيات كثيرات في كل بلد حللت به .

— بل الامر على العكس فهذه اول مرة اعني عناية جدية بواحدة من بنات جنسك . فأنا — كما رأيت — لا همّ لي الا العمل على توزيع هذا الدواء على اكبر عدد ممكن من الناس . ولكني منذ رأيتك تحول اهتمامي بأمر هذا الدواء الى اهتمامي بأمرك . واني لاعده شرفاً ليس وراءه شرف ان تصحبيني في عربتي . ولطالما تمنيت .

فقاطعته وهي تسأله : وهل انا اول فتاة وأول امرأة قد اظهرت التودد نحوها ؟

— نعم وأقولها مؤكداً قولي .

ولما وصلا الى بيتها اجتازا الباب الخارجي ثم ترجلا ودخلا حجرة الضيوف . ورفعت هي احدى الستائر . ثم نفضت احدى

الارائك لتزيل عنها التراب .

ووقف (البروفسور) في وسط الحجرة وهو ينظر — في قلق — من فتحة صغيرة في النافذة . ثم ارهف اذنه يسمع اصوات من في البيت .

وقالت (ايفى) ليس عليك الا ان تتخذ مجلسك فوق هذه الاريكة . فأنا اعرف اني آمنة مطمئنة وأنا معك .

فقال لها : وهل هذا البيت هو بيت الاسلاف والاجداد ؟

— ارجو ان لا يدور الحديث الا عني وعنك . .

— قد تسمحين لي ان اشخص مرضك . فأنا — كما ترين — جد خبير في المسائل الطبية واني لاستطيع ان احدد لك عدد الزجاجات التي تكفي لشفائك . ذلك لان حاجة النـاس تختلف باختلاف اعمارهم وامزجتهم . ثم امسك بيدها يجس نبضها . ثم وضع اذنه فوق صدرها ليتعرف حالة القلب ثم قال : ثقي يا آنستي ان دوائي هو انفع دواء في السوق اليوم . وهو فوق خواصه العلاجية الشافية فان النساء اللاتي بلغن منتصف العمر واللائي بلغن آخر مراحـل الحياة ، هن في اشد الحاجة اليه . وانت عند ما تعرفين هذا سوف تحرصين الحرص كله على ان لا تخلو منه صيدليتك .

قالت : لست اظنك تحمل الآن في جيبك زجاجة من هذا الدواء ؟

— اما في جيبي فلا . ولكن عندي في السيارة بضعة صناديق ملأى بالزجاجات .

وبينما هما في هذا الحديث اذ اقتحم الباب اخو (ايفى) واسمه (برك) وهو عمدة المدينة فما ان رآهما حتى سأل اخته ان كانت قد أعدت له العشاء . ثم قطع حديثه . ونظر اليهما وقـد قطب وجهه وزوى ما بين عينيـه . فصرخت (ايفى) وازاحت (البروفسور ايتون) فنهض هذا وهو ينظر تارة الى (برك) وتارة الى (ايفى) وارتج عليه فلم يدر ماذا يقول .

وسرعان ما انتشر الضوء في الحجرة وكأن الوقت ظهر ، وصاح (برك) قائلاً وهو يمشي على مهل جيئة وذهاباً : ثكلتني امي ان لم . . ثم طفق قراب المسدس الذي كان يحمله فوق صدره يترجح ذات اليمين وذات الشمال .

وظل (بروفسور ايتون) يرفع رجلاً ويخفض اخرى . وهو واقف بين (برك) واخته . ولم يدر كيف يبدل موقفه . . وود لو كان بينه وبين (ايفى) امد بعيد .

وتقدم (برك) خطوة ودفع (البروفسور ايتون) تدفيعاً . ونظر اليه ثم نظر الى اخته . ولم يكن الناظر اليه ليعرف مـاذا يريد . ان يفعل بهما . وكان كلما رفع (البروفسور) رجلاً او خفض اخرى رفع (برك) قراب مسدسه فبرزت منه لؤلؤة اتخذها زينة لمسدسه .

وصاحت (ايفى) بأخيها تسأله ماذا هو فاعل ؟ فأجابها - ويده على قراب المسدس : ان هذا مرهون بما سوف يفعله (البروفسور)

فصاحت بالبروفسور وهي تسأله : السنا قد عقدنا العزم على الزواج ؟ فأجابها : لم يكن في نيتي ان اعلن الخطوبة والزواج الآن . . ولكن بما انه قد كتب علينا ان نتزوج بهذه السرعة فوجب ان يكون اخوك اول من يعرف .

وما ان سمعت (ايفى) هذا القول حتى مشت اليـه فطوقته بذراعيها . وهي تسائله : احق ما تقول ؟ فقال لهـا اخوها : نعم انه لحق . وانه يعني ما يقول .

— اذن فأنا اسعد فتاة في المدينة . وما كنت اظن ان هـذا الحلم سيتحقق في مثل لمح البصر وسار (برك) ويده ما تزال على قراب مسدسه الى التلفون ورفع سماعته . « وطلب الى العاملة ان تنادي له (القس ادواردز) . وطفقت (ايفى) تناجي نفسها وتقول : ان فتيات المدينة سوف يحسدنني . وسوف يعقد الحسد السنتهن شهراً اذا عرفن اني تزوجت الطبيب الرحالة . صاحب الدواء العجيب .

فأجابها البروفسور : هذا حق ! وان هذا الدواء قد اتى حقاً بكل عجيب . . فهو معجزة الدهر .

وطفقت (ايفى) تعقص ضفيرة من ضفائر شعرها . وهي تنظر الى عروسها في زهو واختيال . .

القاهرة مبارك ابراهيم

رسالة الادب

بقلم فهد ابراهيم

الادب او الثقافة على الاطلاق ، مجموعة قوى معنوية ، تتفاعل تفاعلاً مستمراً في المجتمع ، لتستقر اخيراً على هدف عملت خلال استمرارها على ابرازه وبلورته ، وعلى تقريبه الى الافهام والاذواق ، حتى اصبح ، في نظر ذلك المجتمع ، ضرورة بل مثلاً اعلى لا غنى عنه ، ولا مجال الى اهماله ، والتغاضي عن قيمته ، لانه ، وقد اشتق منه ، من المجتمع ، ليعود اليه ، نفعاً وخيراً ، بات منه بمقام الولد من الام ! وهنا ندرك خطورة رسالة الادب ، او مهمة الاديب .

وباختلاف المستوى الاجتماعي تختلف رسالة الادب ، وتتنوع اهدافه ومراميه : . فنحن اذ ندرس المجتمع الفرنسي ، قبيل الثورة الفرنسية الكبرى ، ونتحراه ، نجده قد بلغ درجة من الفوضى والارتباك ، وتفاوت الطبقات ، مما لم يعد في الامكان السكوت عليه ، والتجاوز عن مساوئه التي راحت تهدد عناصره ، عناصر ذلك المجتمع ، ذات الطابع الكادح العامل ، بالفناء . فالشعب ، وقد بات آلة شوهاء ، تحت ضغط كابوس الاقطاعية والنبلاء ، استولى عليه شبه بحران عام ، ضاعت فيه مقاييس الفضائل لديه ، واختلطت موازين العدالة عليه ، فراح يكبت في اعماق صدره نقمة هوجاء ، تنتظر السانحة للانطلاق ، او الدافع للانفجار ، شأنها شأن البركان المتناوم في جوف الارض ، يتربص بقشرتها الدوائر ، حتى اذا ارقت او تشققت واعترتها الحزون والاخاديد ، اندفع عاتياً مدمراً يصب الحمم والنيران لا تبقي ولا تذر !

وهل يمكن ان يكون ذلك الدافع الا من صنع نفسية تلك الجماهير المضطهدة ، البائسة ، المهدورة الكرامة والحقوق ؟ وهل يعقل ان يكون الا دافعاً ، للفكر فيه اقباس ، وللبيان ايحاء ، وللادب ، جملةً ، روح ؟

وهكذا رأينا كتاب الثورة الفرنسية ، وخطباءها الافذاذ ، امثال « ميرابو » و« دنتون » و« دي موابن » وغيرهم ، يتصدون للحكم القائم فيحرجوه ، وللعرش فيدكوه ، وللمجتمع فيقلبوه ، وللتقاليد والانظمة والقوانين فيعملوا فيها تغييراً وتحويراً وتطويراً ، حتى استوى لديهم مستوى جديد فاره ، يقبل على الدنيا بوثيقة تعترف بحقوق الانسان ، وبكرامة القيم الانسانية ، وتحدد واجبات الفرد تجاه المجموع ، وهذا ازاء ذلك ، على قدم العدالة والاخاء والمساواة ! ولا يضير تلك الثورة ، او القائمين عليها ، انهم انتكسوا في ذات العلة التي حاربوا ، ووقعوا في نفس الاخطاء التي دفعتهم الى العصيان ، فعتوا وظلموا واهرقوا الدماء ، وازهقوا الارواح ، وقضى بعضهم فيما اضرموه من نقمة ونيران ، فالمهم انهم حققوا الرسالة ، وادوا المهمة ، وفتحوا امام الانسان نوافذ الى الحق والنور والايمان بكرامة هذا الانسان ، دون نظر الى التفاوت في الطبقات ، والى ما يسود مجتمعه ، آنذاك ، من اسطورة النبل ، وخزعبلات الكبرياء والغطرسة التي يتذرع بها ، عادة ، كل حاكم غاشم ، واقطاعي ذميم ! .

واذا نحن عدنا بالذاكرة قليلاً الى روسيا القيصرية ، وما كان شعبها يقاسيه من طغمة النبلاء والاقطاعيين ورجال الدين ، تكاتفوا ، رغم تضارب ميولهم ونزعاتهم ، على استغلال الطبقات الفقيرة المعدمة ، من فلاحين وعمال وجنود ، وعلى تخليد ما هم فيه من امجاد اثيمة وبحبوحة نكراء ، فاننا نقع على ما عرفناه في المجتمع الفرنسي من فوضى وبحران ، لا يمكن ان ينتهيا الا الى نفس المصير ، وبذات الوسائل ، بل وبنفس الطريقة الدموية القاسية التي ادت الى ظهور البلشفة ، نتيجة للطفرة والانفلات !.

لقد كان الادب الروسي في الاجيال التي سبقت الحركات الثورية ادباً مترفاً يسير في ركاب الارستقراطية ، ويعمل بوحيها ، على نشر ظلها الرهيب المقيت في شتى ميادين الحياة ، مسبحاً بحمدها ، رافعاً لواءها ، وما ذلك الا لان المجتمع الروسي آنذاك ، وقد بهرته عظمة جلاديه ، كان يستسيغ تلك الاناشيد التي لم تكن سوى تراتيل موجعة في جنازته الخرساء !! حتى اذا تنبه فيه الوعي ، واشرأب الشعور ، وثارت الكرامة ، وتنزى الاباء الطعين ، تململت القوى الروحية الكامنة فيه ، لتلد ادباً شعبياً يؤدي رسالة البعث المنشود والانقلاب المرجو ، فاذا بهذا الادب يتحول من ميوعته وتخنثه وانقياده ، الى عواصف هوج ، وزمجرة طاغية ، وعصيان مخيف ، يقلب معالم دنيا الروس ويمحو مخلفات عصور ودهور ، من عوائد وتقاليد !

وكان لهتافات « تولستوي » وصرخات « مكسيم غوركي » وسواهما من قادة الفكر الوثاب ، والثقافة الشعبية ، هذا الاثر المجسد بالشيوعية التي توشك ان تصبغ هذا العصر بصبغتها العجيبة الالوان ، وتلقي على منكبيه حلة من حللها الغريبة النسيج ، مما لا

يعرف الا الله مدى انطباقه على حاجات البشرية ، وملاءمته كعلاج يقيها ما تعانيه من ادواء واوصاب !

فالادب ، وهذه آثاره ، جدير بان يكون الوسيلة الضامنة لتحقيق كل فكرة تنشد التطور، وتسعى الى الانعتاق من سيطرة رجعية ، جمّدت وتجمد طاقة الانسان في حوض من الانانية النكراء! واخرت وتؤخر تقدمه في معارج السمو، وعرقلت وتعرقل انطلاقه في مهاب الحرية والحياة !..

بيد ان الادب قد يكون وسيلة معكوسة الاتجاه ، تعمل على نشر البلبلة ، واشاعة الارتباك الفكري، اذا لم يقيض له رجال شرفاء العقيدة، نزهاء الميول ، وطيدي الايمان ، بالمثل العليا ، وبقدسية هذا الانسان ! ! يدفعون بالجماهير الى تحطيم اوثان الطمع، وزبانية الاقطاعية والاستعمار، وأبالسة الخيلاء، لاقامة اسس جديدة ينهض عليها صرح العزة القومية ، ويتعزز بها استقلال الفرد في صالح المجموع ، حيث يشعر ان وجوده ، ضمن مجتمع كريم ، ترعاه الحرية الفكرية ، وشخصيته بينة الحيثية ، موفورة الحرمة ، محترمة المدلول ، منسجمة وباقي شخصيات مجتمعه في السعي المشترك للصالح العام.

يستخلص من هذا البحث ان لكل ادب رسالة، ولكل زمن ادباً. ولكي يستطيع الادب ان يعيش ، يجب ان ينتج ، وانتاجه لا يقاس بالكمية، بل بالنوع ، والنوع يستحيل ايلاؤه اي تقدير، الا اذا جاء مطابقاً لما يعتلج في نفسية الجمهور الذي يتوجه اليه ، هذا الادب ، من نوايا وآمال واهداف...

ومعنى هذا اننا لا نستطيع ان نطلب الى الادب الانكليزي او الاميركي او الالماني ، مثلاً ، اليوم ، ان يكون ادباً قومياً ، مهمته اثارة الحاسة الوطنية في صدور الجماهير، وايقاظ الوعي القومي في خلايا الامة، ذلك لان الوطنية في هذه البلدان بلغت حد الكمال في التبلور والبروز ، وباتت شيئاً يتكيف به تفكير هاته الامم، ولان حريتها وسيادتها امر لا يجوز الجدل فيه، تمتد جذوره واصوله الى اعمق اعماق وجودها الاممي وكيانها القومي ، وانما يطلب الى ذلك الادب في امثال تلك الاقطار رسالة اخرى من طراز جديد، بعد ان ادى رسالته الكبرى في تعزيز قوميته ، وتجسيد مفهوم حريته ، كأن يدعو جماهيره المتحررة المنطلقة الى مثل اعلى آخر ، تترتب عليه سعادة الامة ، فيتمدد سلطانها عبر الحدود ، ويشيع مفهومها الخاص في مختلف نواحي هذا الوجود، او يبتدع لها وسائل تفكير جديد ، كأن يستحثها على نشدة الكمال ، والتضحية في سبيل المعاني الانسانية، تبعاً لما تكون عليه تلك الامم من نفسيات وامزجة وميول. اي انه ، اي الادب ، لا يمكنه ان يكون الا الترجمان الصادق الرشيد لتلك النفسيات والامزجة والميول ، والا عد ادباً زائفاً لا قيمة له ، يؤول الى البلبلة ، وينتهي الى الطفرة ، وهذا معناه التراخي فالانحلال !

بقي علينا ان نلم بالغاية التي وضعنا من اجلها هذا المقال، وهي:

هل عندنا الآن ، نحن العرب ، ادب اكتملت فيه العناصر الضرورية ، ليصح اعتمادنا عليه في تأدية الرسالة القومية ؟

ثم هل يضطلع ادبنا الحديث بما يتطلب منه من معالجة قضايانا، كأمة تنهض من بين الانقاض ، وتتطلع الى الخلاص مما هي فيه من ضعة وخمول واستعباد ؟

هذا ما سنجمله باقتضاب ، على ضوء بحثنا المتقدم في مفهوم الادب ، ومدلول رسالته ، آملين ان نوفق الى الرشاد والصواب :

لا نكير بأن ادبنا يسرع الخطى نحو التكامل والنضوج، رغم ما يعتوره من غموض وابهام ، بالنسبة الى آداب الامم الحية ، العريقة في الحرية والاستقلال !

اما انه مما يصح الاعتماد عليه — كل الاعتماد — في بعث معنويات الشعوب العربية ، وتحريك كوامن قواها النفسانية ، وابراز واقعها بما فيه من امكانيات ، وفوضى ، ووهن ، وركود ، وآلام ، اما هذا كله ، فليس بوسعنا ان نطمئن ، عن كامل الرضى ، ومطلق الارتياح ، الى ان ادبنا يؤديه بالصدق والامانة المطلوبين !

ان ادبنا ، وهذا لا يحتاج الى براهين ، ليحوم حول واجباته ولا يستقر عليها، ويحاول الغوص الى دواخل نفسيتنا ليكشف عنها، ويعرضها للنور كي يتسنى لها ان تدفأ فتتحرك فتثور ، فيعوزه الصبر والجلاد ، فيعود منها بالفقاقيع ، ويقبل على جوهر قضيتنا الكبرى، بغية ان يلمس منها الجوهر، ويستشعر اللب ، فاذا به ، وقد مسته كهربة من تيار ، ينثني ، وبين انامله القشور !!!

هذه كلمة حق اريد بها صدق، ولا تنطبق على ما هنالك من شذوذ ، فلكل قاعدة شذوذ . ولكن هذه الومضات الفارهة العنيفة التي تنشق عنها بعض الاقلام ، وهذه المحاولات القوية الصادقة التي تجريها بعض الافكار والعقول، في حقل وضعيتنا القلقة وميدان ايقاظنا الفسيح، ليست بكافية لانقاذ عليل، ودرء خطر! وبعث امة ووطن !

وعندي ان مرد هذه الفوضى الفكرية ، وهذه الاتجاهات المتضاربة في ادبنا الراهن ، هو في هذه المدارس والمعاهد القائمة في

منشأ الرقص القديم

بقلم المهندس عبد السلام الدبوري

الرقص من اقدم العادات التي الفها البشر ، وله تأثير فعال في حياة الشعوب الاجتماعية ، ويتطور في الانسان بحسب وسطه والعصر الذي يعيش فيه ، فقبائل الهنود الضاربة في نهر الامزون مثلا قد بلغ الرقص عندها حد الجنون : ترى افرادها يبتهجون بكل حادث يمكن اتخاذه حجة لاقامة مرقص ، وعندما تقرع الطبول يقبل الهنود على صوتها من كل حدب وصوب حتى ان قبائل بومتها تجتاز بين اربعين وخمسين كيلو متراً لتحضر مهرجاناً الرقص . ولما كان لكل امة رقص خاص بها فقد تعددت تعاريفه الفنية او الفلسفية او الاجتماعية . يقول التعريف الفلسفي : ان الرقص حركة فطرية ، ناشئة عن تراكم القوى الحيوية في الجسم وتزايدها الى درجة تحملها على طلب منفذ لتخفيفها .

وفي الحياة امثلة لا تحصى ، ينطبق عليها التعريف المذكور ، فنحن اليوم نعيش في عصر السرعة ، وجل اعمالنا تتطلب دقة واستعجالا فيزداد بذلك النشاط العصبي عند كثير منا ، وهذا ما يدفعنا الى البحث عن منفذ لتخفيف الضغط عن عواطفنا المحتبسة ، فكما نلجأ الى وضع صمامات الامن فوق المراجل لتخفيف ضغط البخار بها عندما يبلغ حداً معيناً ، كذلك اتخذنا لانفسنا جهازاً يكون لنا بمثابة صمام الامان ، وهذا الصمام نجده في الرقص الذي أدى هذه المهمة لجميع انصاره في كل امة ، بصرف النظر عن لونها او سلالتها .

ونرى من آثار التاريخ ان ارض النيل كانت اخصب موطن نشأ وترعرع به هذا الفن الذي قيل عنه انه اقدم من الحب . وحفلات (الزار) التي تقيمها الطبقة الشعبية لنساء مصر لدليل على ذلك .

وقد كان المصريون القدماء يعيرون الرقص اهتماماً كبيراً ، ويظهر ذلك من الرسوم التي خلفوها على جدران قبورهم واقوال

العالم العربي ، اما على اساس طائفي ، او على دعامة اجنبية ، حتى بتنا ، ومشاغلنا الفكرية مزيج من الزيوت والاضواء ، يتجه كل منها الى ناحية من نواحي الثقافات العالمية ، قد لا تمت الى واقعنا الشخصي بصلة او سبب !

واذا لم تتحد هذه القوى الفكرية ، ويتضامن اربابها تضامناً تمليه الآمال القومية المعلقة على نشاطهم وثقافاتهم ، في اشعال جذوة الايمان في صدور الجماهير ، والهاب القوى المعنوية في النفوس ، طلاباً للحق والعدل والحرية والحياة ، فلسنا ببالغين ما نتوق اليه من خلاص وانعتاق . واذا لم يجد الادب العربي ، في المجتمع العربي ، والقضايا العربية ، والمآسي العربية ، مادة البقاء والخلود ، وعنصر التفوق والابداع ، فانه لن يجد هذه المادة فيما يغرفه ، ويقتصر عليه ، دون ان يهضمه ، ويحلله ، ويعربه ، من آداب الغرب وتفكيره الخاص .

بماكو – السودان الفرنسي　　　　فهد ابراهيم

المؤرخين ، يقول لوسيان : « ان الرقص والغناء كانا مقدسين عند قدماء المصريين ، ومن لوازم احتفالاتهم الدينية فكانت حركات الرقص عندهم تشبه في السرعة انحدار الماء ، وتماوج لهيب النار في الهواء ، وخيلاء الأسود ، وغضب الفهود ، وترنح الغصون ، فهو ابدع ما يكون » وكان يشمل عندهم انواعاً كثيرة ، ابرزها :

الرقص الرياضي The gymnastic dance ، الرقص التقليدي The imitatine dance ، رقص الحروب The war dance ، الرقص التمثيلي The dramatic dance ، الرقص الغنائي The lyrical dance ، رقص الموت The funeral dance ، الرقص الديني The religions dance .

وقد جرى الاغريق مجرى المصريين في الرقص ، فأتقنوه حتى جعلوا لكل حالة من الحالات النفسية رقصة تميزها وتدل عليها . واشهر الرقصات عندهم ثلاثة انواع :

الرقص التمثيلي Dance dramatique ، الرقص الغنائي Dance lyrique ، الرقص الخاص Dance particulière .

فالنوع الاول يعبر به عن الافراح والاتراح ، وهذا طبيعي في الكائنات الحية ، فالطفل يرقص على نغمات الموسيقى من تلقاء نفسه ، والطيور وذكور الحمام ترقص حول اناثها .

والنوع الثاني وهو الرقص الروحي اتخذه اليونانيون القدماء واسطة بينهم وبين آلهتهم ، وكان تعليمه اجبارياً في مدارسهم على كل من بلغ السابعة من الجنسين ، واما النوع الثالث فكانوا يرقصونه في المهرجانات ، وحفلات الزواج والسمر ، واعياد الميلاد ، فكانت الراقصة تضع رجليها فوق كتفيها ، وتخرج من فمها نارا .

وهناك انواع اخرى تتفرع من هذه ، منها رقصة الحروب والصيد ورقصة البطن . وقد اشتهر بالاولى القوقازيون ، كما اشتهر بالاولى والثانية النيوزيلانديون ، فقد كانوا يزعجون اعداءهم بالحركات الراقصة التي كانوا يقومون بها مصحوبة بأصوات مرعبة اثناء هجومهم على الاعداء . واما رقصة البطن فكانت من بين الرقصات التي اشتهرت بها فرنسا القديمة La Gaule .

ويمكن القول الآن بان مصر تمتاز برقصة البطن بالنسبة الى انها الرقصة الشعبية المحبوبة عند المصريين . وكان قدماء اليونان يطلقون على اي نوع من انواع الرقص الذي يشترك فيه الجنسان اسم « رقص الحب La dance d'amour » .

وقد دخل الرقص الاديان الوثنية والتوحيدية على السواء ، ويقال ان داود عليه السلام كان يرقص لله ، وفي التوراة ان اليهود كانوا يسبحون بالرقص ، ففي الاصحاح ٦ آية رقم ١٤ : « وكان داود يرقص بكل قوته امام الرب » وفي خروج ١٤ آية رقم ٢٠ عند غرق فرعون ونجاة بني اسرائيل « فأخذت مريم النبية اخت هارون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص » وجاء في مزامير داود : « ليسبحوا اسمه برقص » .

وقد رجح بعض العلماء بان الطواف بالكعبة اصله ضرب من الرقص : قال الزمخشري والبيضاوي : « انهم كانوا يطوفون عراة ، الرجال والنساء ، مشبكين بين اصابعهم يصفرون ويصفقون » . « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » (قرآن كريم) .

ولا عجب اذا كان الرقص عند بعض الامم فرضاً دينياً يؤدونه للآلهة — كما كان الحال في افريقية القديمة ، حيث اعتبر جزءاً من الشعائر الدينية للرب ديونيسيون — فقد نشأ عند جميع الامم بين احضان معابدها ، هذه هياكل منف وطيبة وهليوبوليس ، وهيا كل اورشاليم وبابل ، ومعابد بعل وجوبتير والزهرة ، كلها كانت منبع الرقص واصله .

طنجة — عبد السلام الديوري

مصادر البحث :

١) دائرة المعارف الفرنسية
٢) كتاب The Ancient E. g. Dances By M. Lexora
٣) الكتاب المقدس الانجيل
٤) مصادر اخرى

راقصة العيد

لرابندرانات طاغور

ترجمة بهجت حكيم

وفي ليلة العيد الثالثة ..

عندما بلغ المعيدون ذروة الفرح ..

وانطلقوا يمرحون تحت اشجار «الميموزا» وفي ساحات «ميدون» اقبلت «ايونيا» الراقصة، التي كانت لؤلؤة في جمالها ونجمة في توهجها .. واذ رآها الجمع امتلأ همساً:

فقال الشبان: لقد جاءت سيدة احلامنا.

وتهامست الفتيات: حضرت سالبة عشاقنا منا.

وزمجر الكهنة: اقبلت رسولة الخطيئة بيننا .. اما الاطفال فراحوا يتبعونها مهللين في غمرة ميولهم الضائعة ورغباتهم التي لم تستيقظ بعد.

ولما عبرت الجسر الرخامي وتوسطت الساحة الكبرى .. خلعت ثيابها الموشاة، حتى لم يعد يسترها الا غمامة حريرية تغلف جسدها ولا تحجبه، ثم راحت ترقص.

تدور، وتدور، كمراح الاطفال التي تحركها الريح، بينما وقف عشاقها الاربعة المفضلون ينقرون قيثاراتهم الفضية. وفجأة علا من الجمع صوت امرأة يقول:

— ابتعدي ايتها الراقصة الخاطئة.

اتركي هذه الساحة واتجهي بعيداً في الظلمة، بعيداً جداً.

لقد اخذنا الحياء. فأشحنا بوجوهنا كي لا ننظر عريك يا امرأة.

ان ضجيج رغباتك عكر صفاء فضائلنا. فبالشهوة والنهم صبغت افق هذه الليلة المقدسة.

وكان لكلماتها في الشعب اثر العاصفة على البحر، فضج هادراً .. اذ ذاك توقفت ايونيا والتفتت .. مرة الى تلك المرأة، ومرات الى الشعب ثم انطلق صوتها بهذه الاغنية:

في معرفة الناس للناس خيبة.

لذلك وضعتم على وجوهكم اقنعة كثيرة.

ليبقى الصالح صالحاً، والقديس قديساً.

جميعكم مقنعون ايها الناس. تنظرون الي من خلال اقنعتكم المتعددة.

ان العقلاء بينكم .. يرقصون الآن معي خلف قناع رصانتهم.

والفضلاء منكم .. يشردون قربي في حقول تشوقهم .. ويتحرقون على قبلي خلف حجاب فضائلهم. والحكماء فيكم يخمرون الساعة في مقاصير حبي وراء مظاهر حكمتهم.

كلما تأملت عيناي واحداً منكم اخالني رميت بنفسي الى عالم من الاسرار والمعميات.

ترى ما يرتسم الآن في مخيلاتكم ..

تشجعوا وافتحوا للنور ابواب نفوسكم حيث ترقص حقيقتكم العارية .. اما انا .. فسأخلع الليلة جميع اقنعتي .. ولن اخفي عنكم شيئاً .. حتى الهمسات التي ينشدها صمتي في اعماق ذكرياتي، سأغنيها واعطر بها آفاق هذا الليل.

وأتعرى من كل حجاب.

لطالما جالست الذين لا احبهم، واستقبلت الذين امقتهم. وكنت أخفي حقدي وراء ابتسامي .. وجوعي وراء اكتفائي، ورغبة شري في اثواب خيري.

لقد كنت اقدم للناس عظمتي، وكرمي وابتسامي، واحتفظ للخفايا بحقارتي وبخلي وحقدي، اما اليوم فانني سأتعرى واقدم لكم حقارتي متكأة على عظمتي، وبخلي معانقاً كرمي .. وحقدي متوسداً ابتسامي فأكون متكاملة امامكم.

ولكن بالله عليكم يا ابناء ميدون، من منكم تعرى من جميع اقنعته واظهر خفايا حياته المجهولة حتى امام اقرب الناس اليه.

مهما تعريت يا صاحبي .. فستحتفظ بقناع واحد تستتر عن احبائك وراءه حقيقتك الكاملة وستظل ذلك المجهول المنفرد.

لاخيك تظهر وجهاً لا تظهره لصديقك.

ولصديقك وجهاً لا يعرفه اخوك.

ولحبيبتك ما تخفي عن الاثنين.

ولعل هناك من يعرف منك غير ما عرف هؤلاء .. آخرون اكتشفوك في لحظات ضائعة .. وجوهك متعددة جداً وفي كل منها تطل ذات منك، وليس احد رآك مكتملاً .. ان ساعة لجوئك الى ذاتك لاعظم استقرار تستطيع ان تدركه. ان لك فيها عالماً لا يدخله سواك .. هناك

ترتعش رغباتك المجنحة واحلامك الزاحفة ثم تتسرب الى آفاق صمتك من غير ان ان يعرف بها احد .

.. ايها الرجل .. ترى هل قرأت على مسامع زوجتك سفر حياتك ولم تطو منه ولو صفحة واحدة .. صفحة يجب الا تقرأ او صورة يجب الا تنظر .

ويا ليتها الزوجة الامينة لعهدها .. الم تختلج خفاياك في لحظة شاردة ، فعلته من لجام العقل والارادة ، على سمرة وجه فتى صياد ، او شقرة شعر فارس عابر وماتت هذه الرغبة كما تموت الفراشة في الحقول دون ان يشعر بها حتى النهر المنحدر في الوادي، ثم واريتها القناع الاكبر الذي هو الصمت؟!

— ايها الفتى والفتاة ، المتعانقان عشية هذا العيد تحت ظلال الميموزا الطرية :

مهما تدانيتما فانتما متباعدان .

انه يفصل بينكما اودية عميقة من المجهول والغامض . لان كليكما يخفي عن صاحبه قدس اقداسه لذلك لن تتحد نفساكما ، ولن تؤلفا معاً افقاً واحداً منيراً، بل ستظلان الى الابد ، كوكبين منفردين يدور كل منهما في خلاء لا يتعداه وان جمعتهما يد ناموس واحد .

وضرب العازفون قيثاراتهم . ودارت ايونيا دورات كثيرة متتابعة كمراوح الاطفال التي تحركها الريح ، ثم توقفت امام اخوين عرف الناس محبتهما وسلامهما وهتفت :

ربيتما معاً .

ولعبتما معاً .

ورقدتما في غرفة واحدة .

وعندما يداهمكما البؤس او الفرح تمشيان الى لقائه معاً .. ولكن حتى في بؤسكما او فرحكما ستكونان متباعدين لان مباعث العاطفة منابعها وراء الاقنعة التي لكل منكما ، وانها ولا شك متفاوتة القوى والمقاييس .

يقول لك اخوك لحظة واعود اليك .

ويمضي .. ثم يعود باسماً . ترى اين مضى؟! وما صنع ؟ هل اجرم ؟! هل زنى ؟! هل سرق ؟! من يدري .. انك لم ترافقه على دروب ذاته ولا تعلم على اي ساحل يرف طائر احلامه المذهب، لعله يظهر عكس ما يضمر .. ان قناع وجهه يخفي كل شيء .

كل واحد منكم يا ابناء ميدون يتفرج على ما خلف اقنعته في اعمق خلواته وفي ساعات استغراقه . ربما يعتقد انه اتى بأحقر ما يمكن ان يؤتى .. لذلك فانه ينزع ستائره الى الابد .. لكنني اقول لكم .. لو نزعتم جميعاً اقنعتكم الاخيرة، لتساويتم في الفضائل والرذائل ..

— ايها المتكلمون عن الفضيلة ، تبتهجون اذا مدح الناس فضيلتكم ، وتثورون اذا تجرأوا فذكروا عيوبكم ، وتحاولون ان تتملصوا من نقصكم الآخر الذي هو نقصكم .. ان شر ما يستطيع احدكم ان يجرح كرامة رفيقه به هو ان ان يعيره بالذي فيه ، لذا عمدتم الى الاقنعة تستترون وراءها .

ان المجرم تجرأ فنزع قناعاً لم تنزعوه انتم . لذلك فان جرائمكم ستبقى في نفوسكم

ليست شهوتي للرجال بأقوى من شهوه المرأة الفاضلة ، ولا اعمالي باحط من اعمالها في مطلق العواطف السيدة ومدرج الرغبات المهيمنة ، لكنها تخفي اعمالها في رداء فضيلتها بينما تجرأت انا فنزعت ردائي، واذا رأيتم عريي هتفتم .. ساقطة، ساقطة .

هيا افتحوا للنور مداخل ذواتكم .

حيث ترقصون في عري نفوسكم .

انني كلما تأملت عيني واحد منكم اخالني رميت بنفسي الى عالم من الاسرار والمعميات .

وظلت ايونيا ترقص وتغني الى ان راحت الاقنعة تتساقط عن الوجوه، وماجت الساحة الكبرى بهيئات غريبة متباينة حتى لم يعد يعرف الاخ اخاه والرجل امرأته والام ابنتها فشوهد قوم من ابناء البؤس يرفلون بالدمقس والحرير وتشع وجوههم بضياء الاباء والتضحية ، وغيرهم من مغموري الذكر ، يقيمون عربات احلامهم المجنحة وينطلقون الى ذرى العظمة والقوة الكامنة في نفوسهم . كما تراءى بعض اغنياء المدينة وحكامها يكمنون عند المنعطفات المظلمة ليسرقوا من العامل

جنى يومه .

ومن الزارع غلة بيدره .

ويتسولون الامن والسعادة من الفقراء، وبدا اصحاب الصوامع يزحفون على التراب معانقين شهواتهم ، في سكينة وحدتهم وغيرهم من الزوجات يشردن مع اشباح مريبة .

لقد ظهرت عظمة نفوس وحقارة نفوس .

كثيرون في تلك الليلة نزعوا اقنعتهم وتبدوا عراة لا تسترهم الا ثيابهم .

بهجت حكيم

مكتبة الاديب

ابو حيان التوحيدي

للدكتور ابراهيم الكيلاني – رسالة بالفرنسية – ورق فاخر
حجم كبير – ١١٨ صفحة – منشورات المعهد الفرنسي بدمشق

احببت أدب أبي حيان التوحيدي لانه أدب صادق يشكو الى الله ظلم الانسان للانسان وليس قليلاً ما صنع سوء الحظ بأبي حيان ، فقد ابتلي بالفقر وأترب زمناً فاتخذ الوراقة مكسباً . كان ينسخ الصفحات بياض نهاره وسواد ليله ، وحين زم الرحال الى الصاحب بن عباد في فارس ، كاد له الصاحب كيداً ما نزل مثله بعالم الا فلجه . لقد حجبه اياماً فلم يأذن له بالمثول . ولما مثل بين يديه نبذ اليه مجلدة وقال له : انسخها ، فقال له ابو حيان ، وقد بهت وكاد يصرعه الدهش .

– ما لهذا قصدتك ايها الرئيس ، ولقد كانت الوراقة رائجة في بغداد .

فرماه الصاحب بالنظر الشزر ، وكان قلبه يشتعل عليه ضغنة ، ثم قال له .

– انسخ المجلدة .

فأخذها ابو حيان ، وانتبذ بها مكاناً ، فأدام نسخها حتى كادت اصابعه تبلى ، وعينه تقذى . ثم مر به الصاحب مروراً ، وهو يعبر الى جهة في قصره ، فقام له قائماً ، فرماه الصاحب بالنظر الشزر رمية ثانية وقال له زاجراً في جملة كلام جبار :

– الصعاليك لا تقوم للرؤساء .

وعاد ابو حيان الى بغداد منكسر الخاطر منكود الحظ ، فألف الرسائل في مثالب الصاحب . وترك مثلي في اعقاب العصور يحزن من اجله ، ويرثيه في عثاره .

كل هذا هب في خاطرى هبة واحدة حين تفضل الدكتور ابراهيم الكيلاني فأهدى الي نسخة من رسالة الدكتوراه التي وضعها في ابي حيان ونال عليها درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس ، فجعلها مدخلاً لدراسة آثار التوحيدي ، ومعرفته وحياته .

يقرر المؤلف في رسالته ان التوحيدي عاش في عصر تقاعست فيه السياسة والحياة الاجتماعية وازدهرت الحياة الفكرية وهو القرن الرابع للهجرة . ثم يأخذ في تعليل الاسباب التي دعت الى هذا التقاعس في السياسة والامور التي بعثت النشاط في الفكر ، باسطاً امام قرائه الآفاق الادبية التي تدرجت فيها صناعة النثر من يدي عبد الحميد ثم ابن المقفع حتى تناولها الجاحظ ، وأورثها ابا حيان . لكن المؤلف يجد ابا حيان فنياً في نثره ، فهو في نظره فني كملت فيه صفات الفن النثري .

وعندي ان هذه الفنية في نثره ، التي لا نجدها عند سابقيه ، انما اتته من طبيعة العصر ، فقد كان القرن الرابع مثابة الفن العربي والاسلامي كله ، في البناء والتزيين ، وفي النثر والتفنن في سبك جمله ومزاوجتها وصقلها . ولم يكن الكتاب الفنيون في هذا العصر ، الا استجابة لمطلب ايامهم التي تناهت اليها فنون الفرس والروم ، فانطبع النثر بالصقل والزينة . وكانت مجالسة ابي حيان لدهاقين عصره من العلماء ، واخصهم به ابو الوفاء الوزير ، تحمله على تظريف اساليبه في الكتابة وخلع الفنية على محاضرته .

وقد درس المؤلف في كتابه آثار ابي حيان دراسة قيمة علمية ، فحلل كتب ابي حيان تحليلاً جامعاً يترك قارئه ملماً المامة متينة بوصف هذه الكتب ، وما قصد اليه صاحبها في موضوعاتها ككتاب الامتاع والمؤانسة الذي نشره العلامة احمد امين والمرحوم الشاعر العزيز احمد الزين ، وكتاب المقابسات ، وكتاب الصداقة والصديق .

وهذه الكتب من الامهات المطبوعة لابي حيان غير رسائله الباقية ، ثم اتبع المؤلف القول في وصف المخطوطات التي لابي حيان ومن خيارها « بصائر القدماء وذخائر الحكماء » وهو كتاب معروف باسم البصائر والذخائر . وقد وصف المؤلف النسخ الموجودة من هذا المخطوط في مكتبات انكلترا ومكتبة استانبول وموضوع هذا المخطوط فصول تصويرية وتاريخية يذكر فيها ابو حيان الادباء والعلماء الذين جالسهم او رحل اليهم بغية العلم ، اثناء تجواله في العراق وفارس والحجاز ، ويذكر المؤلف ان ابا حيان كان يرى هذا الكتاب « ثمرة عمره ، ولباب ايامه ، ومنتوج خبرته » . والدكتور الكيلاني ساع في طبع هذا المخطوط الجليل ، بعد ان استوفى تحقيقه ومعارضة نسخه ، وسيكون بين ايدي قرائه في الاشهر القريبة .

وفي هذه الرسالة الجامعية فصل تحليلي لنفسية ابي حيان من خلال آثاره . اذ يرى المؤلف ان لابي حيان نفسين ادبيتين واحدة مردها الى روحه وحسه ، يبدو فيها اديباً فنياً نضاحاً من ذاته . والثانية تأتيه مما خرج عن نطاقه الذاتي ، فهي مكتسبة من العلماء الذين طبعوه بطوابعهم ، ومن الآثار التي ورد عليها او صدر عنها.

كل هذا قويم سالم ، وقد صنعه صديقي الدكتور الكيلاني من اجل ابي حيان التوحيدي . لكن الذي لم ارض عنه هو فصله الاخير لمنزلة ابي حيان في الادب العربي ، جاء به مقتضباً لم يستوف فيه الغرض من انزال الجاحظ الثاني منزلته اللائقـة به في الادب العربي ، وفي تبيان اثره فيمن عاصروه او جاؤوا بعده .

وقد خضع في الحكم على ابي حيان ، ضمن نطـاق الادب العربي ، لآراء المستشرق جيب ، فوضعه مع الجـاحظ على صعيد واحد ، اذ كان التوحيدي معجباً بالجاحظ ومتبعاً له

وختم هذا الفصل المختصر بأن التوحيدي كان موسوعي المعرفة آخذاً من كل ثقافة معروفة في عصره بسبب ، ولم يجده فيلسوفاً اذ كان لا مذهب له في الفلسفة ، وانما كان يتناول اقوال الحكمة تناولا وكنت احب ان يتوسع المؤلف في المقارنة بينه وبين الجاحظ ليتحيز التوحيدي في ادبه الخاص فلا يدور حول ابي عثمان ، وكنت اراه شخصية ادبية مستقلة ، وهي وان اخذت من الجاحظ كثيراً من صفاته لكن لها الى ذلك صورة خاصة بها تجعلها متحيزة في مكانها من ادب العرب .

فللصديق الدكتور ابراهيم الكيلاني تهنئتي على ما صنع من اجل ابي حيان ، وكان عزيزاً عندي من الف فيه او تكلم عليه . ولعل صديقي الدكتور يقرأ لي في عدد قابل من مجلة « الاديب » حديثاً عن صاحبه التوحيدي كنت سجلته منذ عام على شريط في اذاعة الشرق الادنى .

دمشق — زكي المحاسني

عبقر

لشفيق معلوف – شعر – طبعة ثانية – حجم كبير – ورق فاخر ٣٤٣ صفحة – منشورات العصبة الاندلسية – سان باولو البرازيل

عبقر ، شعر باثني عشر نشيداً هي : في طريق عبقر ، الاله الناقص ، حسرة الروح ، نهر الغيّ ، وادي سجّين ، الهوجل الهوبر ، حلم هراء ، حكمة الكهان ، ثورة البغايا ، العنقـاء ، احاديث خرافة ، العبقريون .

وكتب هذه الاناشيد بخط جميل الشيخ حبيب مسعود .

وللكتاب مقدمة عن الاساطير العربية تقع في ١٣٦ صفحة تتناول : مقدمة عبقر ، تمهيد في علم الاساطير ثم عبادات الجاهلية ، عبادة النجوم ، عبادة الاشجار وتقديس الآبار والجبال ، عبـادة الاصنام ، فخرافات الجاهلية ، عبقر والاماكن الخافية ، شياطين الشعر ، الابالس ومواطنها ، الجن ، الغيلان والسعـالي ، الطيور الخرافية ، الكهانة والعرافة ، العرب البائدة . فمصادر المقدمة .

لسنا بحاجة الى تعريف صاحب عبقر الاستاذ شفيق معلوف او الاشارة الى ما لاقته عبقر من الشهرة والتقدير عند صدورهـا في طبعتها الاولى ولكننا نحب هنـا ان ننوه بفضل الشاعر العبقري والاديب الكبير الاستاذ شفيق معلوف وما اسداه الى لغة الضاد وادب العرب وما بذله في هذا السبيل من روحه وماله فاذا مـا ذكرت العصبة الاندلسية ومجلة العصبة ذكرت الاندلس الجديدة وفضل ادباء المهاجر على نهضة الادب العربي الحديث وتحرره .

ظهر حديثاً :

● كتاب « الاب شربل مخلوف بقعكفره حبيس محبسة ديرعنايا » لحضرة الكاتب الفاضل الاب انطونيوس شبلي اللبناني المعروف بدقته وسعة اطلاعه وقد جاء هذا الكتاب الشامل وثيقة تاريخية قيمة في ما شاع حول الراهب شربل والخوارق التي جرت باسمه في صيف هذا العام فيجد القارىء في الكتاب سيرة الراهب الفاضل وشهادات الشهود من اطباء ومرضى . .

والكتاب مطبوع طبعاً انيقاً على ورق صقيل في حجم كبير ويطلب من « مطبعة المرسلين اللبنانيين — جونية — لبنان » وثمنه ١٢٥ قرشاً لبنانياً ترصد لنفقات دعوى التطويب .

● « معتقل هاكستب » مذكرات ومفكرات للمجاهد العربي المعروف الاستاذ محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى في القاهرة والذي كان اعتقل بأمر عسكري في معتقل « هاكستب » .

يقع هـذا الكتاب التاريخي القيم في ٦٨٠ صفحة من الحجم المتوسط على ورق صقيل طبع المطبعة العالمية بمصر .

وفي كلمة اهداء الكتاب للمؤلف الفاضل : « الى الذين اعتقلوني ثم الى الذين سعوا للافراج عني . واذا كنت قدمت المسيئين اولاً فلكونهم السبب في ظهور فضل اصحاب الفضل الذين ازعجهم حبسي ، فعبروا عن غضبهم لي وسخطهم على الظالمين بأن عملوا على اطلاقي وتهنئتي بعد خلاصي فلولا تلك الاساءة ما برزت تلك المكرمة .

اما الذين كانوا السبب في مصرع فلسطين ، ومسخوا الجامعة العربية ، فان حسابهم على التاريخ ، وعقابهم على الله . »



جولة الأديب في شهر

اهل الفن

الى مقهى « واق واق »

بقلم علي جميل الشوك

كان لحضوري في مجلس اولئك الشبان الحالمين الذين ينظرون الى مستقبلهم بعين تتخاطف امام عدستها اشباح الامل والطموح، كان لحضوري شيء من التدخل والفضول، لانني لم اكن قد شاركتهم حديثهم ونقاشهم، بل اكتفيت بالاستماع الى كلامهم والى الموسيقى المسجلة التي اتحفنا بها الراديو والكرامافون .

هذا وقد اقول لك ان اشخاصاً كهؤلاء يزعجونني لان كلاً منهم يحاول ان يفرض شخصيته امام مقابليه ويعرض لهم كل ما عنده من معرفة وافكار كي يظهر لهم انه على اطلاع واسع وانه يتمتع بمعلومات فنية اكثر من غيره .. ولكنني لا انكر مقدار استمتاعي بأحاديثهم التي اغرتني وآنستني وبعثت في روحاً خفيفة لطيفة ، وكونت في دافعاً ملحاً للمطالعة الكثيرة والتزود بالمعلومات التي تبحث في الفن والادب والموسيقى .. ذلك الدافع الذي دفعني الى ان احلم بمجالستهم ومشاركتهم في ذلك المقهى الغريب الاسم !

ها أناذا انتقل بك ايها القارىء الى عالمهم الصغير الكبير ، وانقل اليك تسجيلاً لجلسة من جلساتهم الموقرة .

جواد — لقد قرأت امس لكي دي موباسان قصصاً قصيرة منها « جمال عقيم » و« الرقص » و« رسالة منتحر » و« الذئب » وغيرها ووجدت فيها متعة كبيرة .. ولا ابالغ بقولي ان العبقرية التي صبها دي موباسان في قصصه قد تجسمت في عيني تلاشيت في عالم تلك القصص البديعة الجميلة . ان قصص دي موباسان عالم منفرد بذاته . انه عالم يمثل الفن والجمال .. هل تعرفون ذلك الفنان العظيم ؟ هل قرأتم له بعضاً من قصصه .. انني اسعد منكم حظاً . انني انفذ الى روح ذلك الفنان العظيم واتحسس الجمال الذي فيها . اسلوبه .. ماذا اقول ، اسمعوا ما ساقرأ له من جمل .

ومد يده الى جيبه فلم يجد الورقة التي هم ان يخرجها ، وقال : آسف ! انني نسيت الورقة التي كتبت فيها بعضاً من الجمل التي وجدت فيها تعبيراً مختصراً لاسلوب وفلسفة دي موباسان . واستأنف وقال : اسلوبه واقعي طبيعي وفنه ذو صبغة غريبة ، وفلسفته بسيطة شفافة .

ذلك هو دي موباسان الشاب المتهالك ، والرجل المجنون .. ان قصة حياته تكفي بان تعطيكم صورة خالدة عن الفن ، صورة لسنا بغنى عنها بتاتاً .. انني اكتفي بدي موباسان وحده .. خذوا الباقين لكم ، خذوهم .

يحيى — وهل لا نوافقك على هذا يا جواد ؟! وهل دي موباسان بالشيء القليل ؟ انه نبي من انبياء الفن ، انه روح الواقع وروح الطبيعة . يصور الاشياء العظيمة ، عادية والعادية عظيمة ، ويسلسل الافكار تسلسلاً لا طفرة فيه ولا عقدة ، ويتخيل ويبدع ابداعاً لا تكرار فيه ولا ركة .. انه بئر يمتاح منه ماء يشفي غليل القراء ، ومنهل يستفيد منه الطامعون في كتابة القصة .. يكفيه فخراً ان يؤسس مدرسة عمارتها خالدة باقية .

عدنان — وكأن الفن والادب قد اقتصرا على صاحبكم القصاص . انني احترمه واجله وأجل فنه ، ولكنني اقف وقفة منصف مقدر .. هل تنسون ادكار الانبو ؟ هل تنسون بول بورجيه ؟ : اميل زولا ؟؟ انه عبقري كبير .. لا . ابداً . انا لا احكم عاطفتي ورغائبي . انني احكم عقلي وتفكيري . أن التحيز لفنان اعجبني اسلوبه واعجبتني كتابته لان فيها تصويراً عن الحب والشهوات والملذات مثلاً ، امر لا يقره العقل ولا يعتبره حكماً علمياً منطقياً .

جواد — ولكنك لا تعرف دي موباسان ولا تعرف شيئاً عنه ، وتحكم احكاماً من عندك .

يحيى — وماذا غير الشعور في الادب والفن يا عدنان ؟ انك تحب اندريه تيريه مثلاً لانك تراه يعبر عن نفسك وعن

ميولك واهوائك . فمتى ما انعكست روح الكاتب على مرآة نفسك احببته وحلمت بعبقريته وشهرته . . فـأني حينما اقرأ لدي موباسان اشعر كأني اعيد ما كتبته انا منذ ساعة !

جواد — هذا هو الجنون دي موباسان ، وهذه هي قصة «جمال عقيم » يكتبها وهو مريض ، فكأن الفنون جنون والجنون فنون ، آراء فلسفية ، وصور فنية ، يتخللها وصف اخاذ وتعبير جميـل : المرأة التي لا تريد ان تحبل ، وزوجها العصبي الفـاتر ، والرجلان اللذان ابديا آراءهما في فلسفة الحياة الانسانية والحيوانية . . هل ترون في هؤلاء الممثلين من هو مجنون ، ان كان كذلك فليكن ادب الجنون اخلد الآداب . . ان قصة « جمال عقيم » لهي قصة الاسبوع . دعونا نبحثها ونتجادل فيها .

وفي هذه الاثناء دخل توفيق يدبك بجذائه ويهذي .

— الموسيقي . . انني اموت في عالمها . . كفـاكم ثرثرة يا هؤلاء ، افتحوا الراديو واستمعوا الى جيلو كونسرت لدفوجاك من من راديو لوندرة .

وقفز جواد الى الراديو وفتحه . ودفن رأسه بين كتفيـه وكتفي الاريكة . . وساد الصمت . . وبدت حركة . وتلاه نبس شفتين . وتلاها جدل ، حـول الموسيقى الكلاسيكية والموسيقى المودرن . . والبحث واسع ،والآراء مختلفة مضطربة ، ذا يحب باخ ، وذا يحب بيتهوفن وفـاكنر ، وآخر يحب سبليوز وشوستاكوفيتش .

كل يتكلم عن رأيه في الموسيقى وكيفية تذوقها واستساغة سماعها .وكل يتكلم عن الموسيقي الذي يعجب به ويفضله على باقي الموسيقيين ، فجواد معجب بباخ ، وبأسلوبه الكلاسيكي الروحاني ، وقد حكى لنا قصصاً طريفة عنه وعن عاداته ، مما جعلنا نتأمل في عالم الروحانيات والدين ونتعمق في اغوار الفلسفة والتفكير . . ويحيى اعجبه بيتهوفن مؤلف السانفونيات الشهيرة . . انه يتحدى آراء الكل ويتحمس لاستاذه حماساً شديداً ، ويرقيه مقام الآلهة . وقد قال : ان الكورس في السانفونية التاسعة ما هو الا لحن انزله وحي من السماء كي يتغنى به البشر كما كانت تتغنى به الملائكة ، اما عدنان صويحبنا المتأثر بالفن الحديث فقد تراه يتطرف بتجدديته والحاحه على نكران الفن القديم الذي طالما استخف به وبممثليه الفنانين الخالدين . كان يقول : ان الموسيقى الحديثة لهي غاية ما وصل اليه الفن من تقدم ورقي ، ان الاساوب والتسلسل المفاجيء الغريب ، انه مفاجيء غريب لان فيه قفزات تحاكي وتماثل قفزات افكارنا المضطربة المصطخبة ، انهما كل ما في الفن من ابداع . . وهل في الفن غير الابداع والاساوب ؟؟ ان الموسيقيين الحديثين مثل سترافينسكي وسبليوز وشوستاكوفيتش ذوو اساليب جميلة بديعة . .وقد تروني معجباً كل الاعجـاب بسترافينسكي لان اسلوبه يروقني كثيراً . هذا وقد جمعت له كل ما تيسر لي الحصول من تساجيل ونوتات .

على ان كلام عدنان كان فاتحة لجدل طويل : الكلاسيكيون والرومانتيكيون من جانب — ولا ادري كيف اتفقوا وتفاهموا ؟ — والمودرن التجدديون من جانب آخر .

جواد — ومن هو سترافينسكي حتى تعتبره استـاذاً للفن والموسيقى ؟؟ . ولكن قبل هذا قل لي بمن تعجب من الفنـانين عدا سترافينسكي ؟

عدنان — اعجب ببيكاسو وبول فاليري وغيرهما .

جواد — تقصد الفنانين المودرن . لا خوف عليك مـا دمت تحتمي بفنانين يعاصرونك ؟!

عدنان — وهذا مما يشجعني عـلى شن الحرب عليك وعلى الكلاسيكيين الجامدين !!

يحيى — ما دمت تفاخرنا بتجدديتك وانطلاقك من القديم البالي ، اسمعنا او ارنا شيئاً مما تفاخر به .

عدنان — سأقرأ لكم اذا شئتم اسطراً قليلة كتبتها منذ يومين .

يحيى « ملتفتاً الى جواد وتوفيق » :وتلك عين المصيبة وعين الورطه . . اسمعنا يا عدنان . . اسمعنا .

عدنان — على انني اقرأ هذه كي تبدوا آراءكم فيها أيضاً . . واخذ يقرأ :

الا تدري يا صديقي ؟ لقد سرت في الشارع . .نعم سرت . . هل انه شيء قليل ؟؟ ابداً . . ولكن لماذا تعجبون لكلامي ؟ وتنظرون الي ؟؟ انكم ترون شيئاً غريباً . قولوه ان كان شاذاً .

سرت في الشارع ، وتفرجت على المارة ، ووقفت على عتبات الحوانيت ، واشتريت شيئاً . . هل في ذلك ما هو بالقليل ؟ ؟

لا تحـدني يا صديقي ، انني سعيـد . أن اتخطى في الشارع واهز يدي بمحاذاة خاصرتي ، والتفت هنـا وهناك ، امر قد تتصوره شاذاً ، او قد تتصوره بسيطاً . . آه . ماذا اقول ؟ انني مغتبط . الشارع مكتظ ، والترامات غاصة ، والباعة يتجولون ، و . . وماذا ؟ الا يكفي هذا ؟؟ ناس ، وترامات ، وباعة . ؟

انني ابث بكل ما في جوانحي من غبطة .

لا تضحك يا صديقي . لا تضحك من كلامي .. انني لست هزءاً واست سخرية .. لا تكن قاسياً . لا تكونوا قساة .. اوه .. انكم الاصدقاء لا تعرفون شيئاً من مبادلة العواطف .

ولكن شيئاً .. شيئاً واحداً شككت فيه ، وفكرت فيه طويلاً ، ولا يزال يشغل بالي · انه الناس! الناس الذين ينظرون الي .. لماذا لا اعجب لامرهم؟ اليست المسألة هامة؟ معقدة؟ قل لي. انني حائر .. أوه ما اضجرك يا صديقي . انك تفتح فمك دهشاً أفي المسألة حيرة؟؟ هل انها عويصة؟؟ هل انها تحتاج الى تفكير وتأمل؟؟

وبهت الكل لهذا الكلام .. انهم لا يفهمون منه شيئاً ! !

ولكن توفيقاً وقف لحاله وقال : لا . لا يا عدنان . لا تقفز قفزات كهذي .. انك حاولت ان تجعل الشيء التافه عظيما ، ولكنك فشلت بسعالك .. بينما حاولت انا عكس هذا . واظنني قد وفقت فيه ، ولا ادري كيف اتفقنا ، وكيف وقفنا على قطبي هذا المجال .. لقد كتبت منذ اسبوع صفحتين ، ولا ادري لماذا كتبتها ، على انني حينما كنت منكباً على كتاب الفيزياء احاول العبث في حل بعض المسائل خطر على بالي شيء تافه ، خطر على بالي ان امزق الورقة وامزق الكتاب وارمي بنفسي في الفراش متحدياً الامتحان .. وتطورت هذه الفكرة في دماغي وصارت قصة !

والتفت الى الباقين وقال : هل سمحتم لي بدقيقتين كي آتي بالورقة واقرأ لكم القصة؟ . وذهب الى بيته المجاور وأتى بقصته واخذ يقرأ :

هل يقدر لي ان احشر نفسي مع الذين يكتبون ؟ واكتب للقراء ما يعجبهم وما يفوق اعجابهم ؟؟ حاشا للفن ، وحاشا للادب ان امسك القلم واخط به حروفاً وكلمات تعطي معنى منسجماً متسلسلاً ، مسألة فيها صعوبة علاوة على ما فيها من جرأة واقدام .. اننا معشر الفضوليين نطمح ونطمع في الكتابة ، ولكن أنى لنا من توافق وسبك وتسلسل ؟؟

اسمعني ايها القارىء اتكلم عن نفسي : انني شخص افكاره مضطربة ، وتأملاته طالما كانت عميقة ، ونظراته حساسة شاعرية ، واذواقه تستطيع ان تعرف عنها من حديثه .. وثمت شيء أحب ان اذكره لك .. انني اخجل يا صديقي من كتابته : .. كل شيء فيّ جميل !! لا تعجب من كلامي هذا فاني محب للصراحة والمفاتحة .. هل من عيب ؟ هل من خجل في ذكر هذا التصريح ؟

على انك قد تسألني : لماذا يا ترى كل شيء فيك جميل ؟ اسؤال تمزح فيه ، ولا تدري ان صاحبك قد يزعجه ويحيره الحاحك هذا ! كل شيء فيّ جميل .. ألست اقرأ الكتب ؟ واي الكتب؟ الادبية التي تبحث في الفن والنقد والتراجم والشخصيات .. الست اتفرج على الصور ؟؟ الست استمع الى الموسيقى ؟ الى السانفوني ؟ الى الكونسرت ؟ الست اغيب عن الابصار ، اغيب بعيداً بعيداً محلقاً في اجواء من الدخان ، مطارداً عبارة او نبرة او فقرة موسيقية؟ هناك حيث المخدرات والمنومات اجد لنفسي مرتعها وخصبها .. هناك حيث الاحلام واللهو والعبث .

هل رأيتني يا صديقي مرة انظر الى صورة كبيرة معلقة على جدار في غرفة احد الاصدقاء ؟ هل رأيتني امزق الصورة كالمجنون؟ الصورة التي بكيتها اسبوعاً واضربت خلال هذه المدة عن العمل وعن الدرس ، وتخاصمت مع صديقي لانه علق هذه الصورة امامي فكانت المصيبة وكان التمزيق .

كانت صورة جميلة ، صورة مثلت الفن وتخليد الفن . صورة طبعت في نفسي أثراً لن أنساه .

فكرتها مسروقة . مسروقة مني !! ان الفنان .. لا ادري ماذا اقول .. انه سرقها مني ووضعها بأسلوبه الخاص .. ولكن لا .. اظن في المسألة توارد خواطر !

على انني رغم هذا اعترف بجمال روح وخلق الفنان الذي رسم هذه الصورة . انظر كيف صور بيتهوفن .. ولكن هل يستطيع قلمي المترحلق المتعثر ان يصف صورة كهذه ؟؟ اسمعني على كل حال : وقف بيتهوفن وقفة فيها انحناءة الى الامام ، وقد امسك بكمانه وبقوسها ، واطبق صفحة وجهه اليسرى على خشبة الكمان وقد تناثر شعره تناثراً يختلف عن تناثره حينما يعزف على البيانو . وملابسه التي بواسطتها تعرف شخصية لابسها وتحزر انه من اولئك الذين عاشوا في القرن التاسع عشر .. ملابسه ، ما بها ؟؟ لست ادري ! «ضحك الجمع ضحكة تعبر عن سرورهم واستئناسهم لكلامه الغريب» .

واستأنف : وامامك — اي وسط الصورة — رأس صغير تشير قسماته وتقاطيعه الى انه هو هو بيتهوفن .. اليس يكفي الصورة جمالا ان يتوسطها رأس بيتهوفن ؟ ! ان بيتهوفن عبقري تنبأ به الكون منذ اجيال .

وهناك ، حيث زاوية الصورة اليسرى ، هناك انا .. هي !! انا بلحيتي الخفيفة الجميلة وبهيئتي التي قد تراها في الصورة ، وهي التي لا يظهر منها سوى عينيها الجميلتين المتألقتين ، وشعرها المتناثر المشتبك ، اما عن هيئتها فهيئة لا ارغب في وصفها .. كانت ملتصقة بي ، تبدو وكأنها قد التحفتني آوية الي خوفاً من جبروت بيتهوفن وسلطانه ! وثمت رجال ثلاثة ، لا ادري هل كانوا قد تطفلوا او حشروا

انفسهم معنا ، ام كانوا هم سفراء الفنان حضروا ليمثلوا دولته في عالمنا الجميل ؟ . احدهم ، ودخان سيكاره قد ملأ جو الغرفة ، متكيء بالجدار وكأن الجدار متكيء به . والآخر جالس جنبها لم يدر بوجودنا ولم يدر هل كان هو نفسه موجوداً ام لا ، جالس وكأن لحن العازف قد طرش اذنيه وعمي عينيه ، فجعله يلطم وجهه واذنيه بكفيه لطماً مؤذياً مؤلماً !! . والثالث جثة هامدة على الاريكة .

نسيت العازف على البيانو الذي كان على عاتقه ان يملأ جو الغرفة فوضى وضجيجاً ! على ان هذا لم يكن الشيء المقصود . . لم يكن الحاضرون من «هي» و«انا» والسفراء الثلاثة ، والعازفين الاثنين ، لم يكونوا سبب تمزيق الصورة . هل سأضحككم اذا قلت لكم السبب الحقيقي . انه الشهوة ! الشهوة التهبت لها كل حواسي . . ولكن عجباً لي . . ماذا اقصد ؟؟

شعرت برعشة مواتية تلتها رغبة مستعجلة ملحة في تمزيق الصورة !

ولك ايها القارىء ان تضحك لهذا او تستغرب له او تنظر اليه بنظرتي انا ولكنك ستلومني على تصرفي الشائن امام بيتهوفن العظيم وامام الرسام المسكين !

وبعد ان انتهى توفيق من قراءة قصته قال : كيف هي ؟ ما رأيكم ؟ جواد — انها قصة جميلة لولا شيء من الاضطراب .

يحيى — لم يعجبني شيء منها سوى التفات نظرك السامع !

عدنان — اعجبني اضطرابك وتنقلك يا توفيق .

وهكذا ، فقد احسست من اغفاءتي الطويلة ، وتمصرت ونهضت ويممت وجهي شطر البيت متمتماً كلمات نسيتها في حينها ! اما الصحب فقد بقوا يتجاذبون اطراف احاديثهم !

علي جميل الشوك

من ذكريات فوزي القاوقجي

في عام ١٩٣٦ عندما كانت ثورة المجاهدين العرب في فلسطين ، وكانت القوات البريطانية هناك تحاول ان تخمدها بقوة النار والحديد فتذهب محاولاتها عبثاً كان فوزي القاوقجي يتولى قيادة الثوار بعزم يفل الحديد ، وقلب لا يعرف الخوف .

ففي احدى الليالي اشتبك الثوار بقيادة زعيمهم مع فرقة بريطانية مسلحة بالمدافع والدبابات والطائرات ، وكان بين رجال القاوقجي جندي في نحو الخمسين من عمره حاول ان ينقذ جريحاً سقط تحت اقدام المتقاتلين فنجح في محاولته غير انه اصيب بعدة رصاصات اردته قتيلاً .

وقد ترك الشيخ الشهيد زوجة وابناً ، وكان الابن في الخامسة عشرة من عمره ، فاعتزم ان يأخذ بثأر ابيه ولكن لما لم تكن لديه بندقية فقد راح يتوسل لوالدته لتبتاع له بندقية وقد عارضت بادىء الامر بشدة ، الا ان الابن ظل يلح عليها حتى لانت اخيراً فاشترت له بندقية وسيفاً بمبلغ من المال كانت تدخره لتزوجه به ومضى الابن فرحاً . وكان هذا آخر عهد والدته به فانه لم يعد ثانية فقد سقط في اول معركة .

وتوالت الايام وصارت المعارك بين الثوار والجنود البريطانيين متصلة الحلقات ، وفي احدى المواقع الحامية الرهيبة لاحظ الثوار ان بينهم فارساً ملثماً يقحم نفسه في اشد المواقع خطراً كأنما يطلب الموت .

وانهى بعض الجنود الى زعيمهم القاوقجي امر هذا الفارس المجهول فخشي ان يكون هذا المقاتل مدسوساً عليهم واعتزم ان يكشف سره ويعلم حقيقة امره .

وفي احدى الليالي وقد عاد الثوار الى معسكرهم خائري القوى لكثرة ما بذلوا من جهد في مهاجمة الموت ، ظل القاوقجي يرقب الفارس الملثم ، حتى رآه يحاول ان يتوارى في بقعة نائية ، فاقتفى اثره دون ان يشعره بذلك ، حتى اذا هم ان يحط رحاله في مكان منعزل ، وقف القاوقجي على رأسه وحياه ، فرد التحية بصوت خافت ، وعندئذ قال له :

اني اهنئك يا اخا العرب على شجاعتك النادرة وجسارتك الفائقة .

فتمتم الفارس بكلمات غير مفهومة وعاد القاوقجي يقول له :

ولكن الا ينبغي لي باعتباري قائد هذه الحملة ان اعرف رجالي ؟

قال له ، استحلفك بالله يا سيدي ان تدعني . انا مجاهد مجهول ، واحب ان ابقى مجهولا حتى القى حتفي .

وكانت لهجته تنم عن حزن عميق ، مما اثار فضول القاوقجي فقال له ، اذا كنت تؤثر ان تكون مجهولا فلن ابوح بسرك . . ولكني يجب ان اعرف شخصك ، يجب ان تكون الثقة متبادلة بين القائد وجنوده .

وما زال القاوقجي يضيق الخناق على الفارس حتى اسقط في يده فقال ، ما دمت مصراً على معرفة شخصي فها انذا .

ونزع الفارس لثامه . . واذا بالقاوقجي يهب واقفاً وقد عقلت الدهشة لسانه . لقد كان الفارس الملثم امرأة . . هي قرينة ذلك المجاهد الشيخ ووالدة ذلك الفتى اليافع الشهيد .

« المضحك المبكي »

أنباء العالم في شهر

٢٤ اكتوبر ١٩٥٠ – خطب فيشنسكي وزير الخارجية الروسية في اللجنة السياسية الدولية واصفاً استخدام القنابل الذرية بالعمل المخجل واتهام يفن ان روسيا تعمل لاحتلال اوربا الغربية بالقول الهراء وقال ان رائحة البارود تعود للجيش الالماني الجديد .

– خطب الرئيس ترومان في جمعية الامم المتحدة فقال ان الامم المتحدة تمثل فكرة معنوية ارفع من مصالح الدول وبان امريكا مستعدة للمفاوضة من اجل انقاذ السلام وقد اعلن عن شروط امريكا لنزع التسلح العالمي ثم قال تسلحوا واستعدوا فالقوة وحدها تضمن السلم الآن .

٢٥ – صدرت الاوامر الى قوى الامم المتحدة في كوريا بالزحف حتى حدود منشوريا .

٢٦ – بلغت قوات كوريا الجنوبية حدود منشوريا وقد انزلت قوات الامم المتحدة ٥٠ الف جندي في « ونسان» على الشاطىء الغربي .

– اكدت البرافدا اليوم الانباء التي اذيعت بان الامر قد صدر الى القوات الشيوعية الصينية باحتلال التيبت .

٢٧ – استأنفت بضراوة قوات كوريا الشمالية مقاومتها لزحف قوات الامم المتحدة فاستنجدت هذه بالطيران .

– ارسلت الحكومة الهندية مذكرة الى حكومة الصين الشعبية ابدت فيها دهشتها واسفها للاوامر الصادرة بالزحف على التيبت .

٢٨ – قال فيشنسكي وزير خارجية الاتحاد السوفياتي في جلسة اللجنة السياسية لهيئة الامم : ان القنابل سترد على القنابل اذا كانت الولايات المتحدة تريد ان تشن غارة ذرية على موسكو .

٢٩ – توفي غوستاف ملك اسوج وارتقى العرش نجله الامير غوستاف ادولف .

٣١ – مددت الجمعية العمومية لهيئة الامم لتريغفلي الامين العام ثلاث سنوات . وصرح فيشنسكي بان الاتحاد السوفياتي لا يعترف بتريغفلي .

اول نوفمبر ١٩٥٠ – وقف الزحف الاميركي على سينويجي في كوريا وتراجع الجنوبيون ١٥ كيلومترا في الشمال الشرقي امام القوات الشمالية التي تقوم بهجوم معاكس .

– جرت محاولة لاغتيال الرئيس ترومن بان حاول رجلان مسلحان دخول مسكن الرئيس بالقوة وقد اسفر الحادث عن مقتل واحد واصابة اربعة بجراح خطرة .

٢ – تتراجع قوات الامم المتحدة امام هجوم الشماليين المعاكس في كوريا وقد حدث هذا التبدل الفجائي بعد ظهور قوات شمالية حديثة في عتادها وطائراتها الصاروخية .

٣ – الهجوم الشمالي الكبير في كوريا مستمر والحالة ما تزال خطيرة بالنسبة لجيوش الامم المتحدة وقد طوق الشماليون افواجاً جديدة وانسحب الجنوبيون ٢٥ كيلومترا .

٤ – اكد الجيش الثامن اليوم في كوريا الشمالية ان قوات شيوعية صينية تبلغ فرقتين مشتركة في المعركة . ويشتد الهجوم الشمالي العام في الشرق والغرب .

٦ – ابلغ الجنرال ماك ارثر مجلس الامن الدولي نبأ اشتراك القوات الصينية بالحرب الكورية .

٨ – عقد مجلس الامن الدولي جلسته الاولى لدرس المساعدة الصينية لكوريا .

– اسفرت نتائج الانتخابات في الولايات المتحدة عن فوز ضئيل للحزب الديموقراطي على الحزب الجمهوري في مجلس الشيوخ والنواب واما في انتخابات الوظائف الادارية الكبرى فقد فاز الحزب الجمهوري .

٩ – اعلن الماريشال تيتو بان يوغسلافيا ستتقيد باي قرار تتخذه الامم المتحدة اذا اعتبرت الصين دولة معتدية . وقد تضع يوغسلافيا قريباً وحدة من قواتها تحت تصرف الامم المتحدة .

– اذيع في المقر العام للجنرال ماك ارثر ان القوات الصينية ما تزال تعبر حدود منشوريا ويقدر عدد جنود الصين الآن في كوريا بستين الفاً .

١٠ – ما تزال الجبهة الكورية تتمخض بالمعركة لمنع هجوم شمالي مركز وقد تقدمت القوات الاميركية بعض الشيء .

١٢ – رفضت الصين الدعوة التي وجهتها اليها هيئة الامم المتحدة لحضور مناقشات مجلس الامن بشأن تدخل قواتها في القتال بكوريا .

١٤ – اعتقل الجنرال اوريينا الرئيس شالبو رئيس الحكومة في فنزويلا ثم قتله بعد تعذيبه . وقد اعتقل الجنرال اوريينا .

– صدرت الاوامر للقوات الاميركية في المانيا بان تكون « على اهبة الاستعداد لمواجهة احتمال اي عدوان مسلح جديد تقوم به الشيوعية الدولية » .

١٥ – اكد الجنرال ماك ارثر ببلاغه انسحاب القوات الشيوعية في الجبهة الكورية الغربية انسحاباً عاماً نحو الشمال الغربي باتجاه حدود منشوريا .

١٦ – اتخذ مجلس الوزراء الايراني قراراً اعلن فيه ان موقف ايران الرسمي هو الحياد في الحرب الباردة بين الاتحاد السوفياتي والدول الغربية .

١٧ – خطب المستر اتشيسون ناظر الخارجية الاميركية قائلاً : لا مطمع لامريكا في منشوريا وقوات الامم المتحدة لن تمس الصين اما اذا تابعت الصين عملها الخطر في كوريا فسوف تقاوم ذلك بقوة . ونرجو الا يحدث ذلك لانه سيؤدي الى كارثة عظيمة . ثم وجه انذاره الى الصين باجتناب توسيع نطاق حرب كوريا والا اقدمت الولايات المتحدة على اتخاذ التدابير اللازمة ولو ادى ذلك الى حرب عالمية .

١٨ – وافقت الجمعية العمومية لهيئة الامم على المشروع القاضي بان يكون لليبيا جمعية وطنية «برلمان» في موعد لا يتجاوز مطلع السنة القادمة وحكومة شرعية في مهلة لا تتعدى ابريل ١٩٥١ .

١٩ – قال الرئيس ترومان في تصريح له : اني اعلن على رؤوس الاشهاد ان امريكا لا تبيت نيات عدوانية للصين وانها ستتخذ كل التدابير اللازمة لمنع امتداد الحرب الى ما وراء حدود كوريا .

٢٠ – بعث الرئيس ترومن الى الكونغرس رسالة جاء فيها : ان نيتو يملك اقوى جيش في اوروبا باستثناء جيش الاتحاد السوفياتي فهو يشكل عاملاً هاماً للدفاع عن اوروبا الغربية واعلن ان الحكومة تنوي ارسال المساعدة المباشرة والعاجلة الى يوغوسلافيا

٢١ – من اخبار الجبهة في كوريا ان قوات الامم المتحدة تتقدم هذين اليومين في بعض القطاعات وهي تلاقي مقاومة متفاوتة بالقوة .